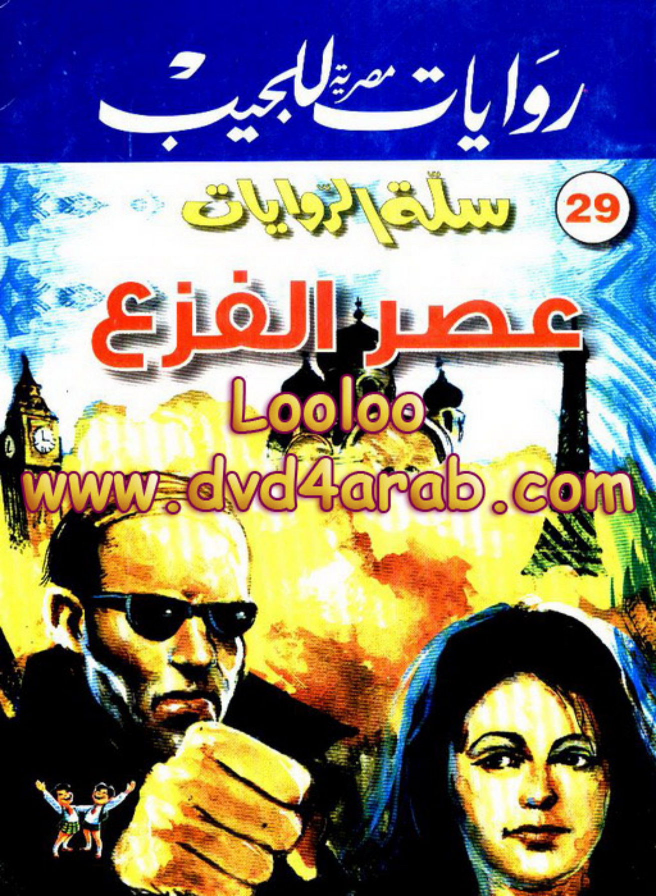


روايات مصرية للجيب
سلة الروايات
29
عصر الفزع

مقدمة يجب أن نعتادها

الواقع أن هـذه السلسلة تختلف .. والواقع أن من الأفضل دومًا أن تتجاهل هذه المقدمة ، وأن تبحث عن الأعداد السابقة ، فهى مهمـة لتفهم ما حدث ويحدث ، وربما لتكوّن فكرة عمّا سيحدث ..

على أية حال سأحاول فى هذه المقدمـة أن أمنحك الخطوط الأساسية التى قد تعينك على الفهم ، وإن كنت أكرر النصيحـة .. هـذه ليست سلسلة روايات معتادة ، بل هى ما حدث لى فعلاً ، ولا يمكنك أن تبدأ قراءة قصة حياتى من المنتصف ؛ لتتذمر بعد ذلك لأن هناك بعض التفاصيل غير الواضحة ، أو أنك تشعر بأنك غير مندمج مع الأحداث ..

كان اسمى (سامى محمود) ، وكنت ضابط شرطة فى القاهرة أحيا حياة معتادة روتينية ، حتى قمت بزيارة صديقى الطبيب النفسى (مجدى) ، ومعى صديقنا المشترك (على) ، ليعرض (مجدى) أن يجرّب علينا تجربة تنويم مغناطيسى ما .. لم أفهم الغرض منها حينها .. المهم أننى وافقت وحين استيقظت كانت حياتى قد انقلبت رأسًا على عقب ..

وجدت نفسى قاتلاً ومحتجز رهائن فى قسم الشرطة الذى أعمل فيه ، وقد مرّ أسبوع على قيامى بتجربة (مجدى) اللعينة هذه !!

تتوالى الأحداث بسرعة بعد هذا ، وأبدأ فى الهروب من الشرطة ـ زملائى فى الواقع ـ وأتعرف على (مايا) إحدى ضحايا تجربة (مجدى) ؛ لنبدأ رحلة البحث المشترك عن (مجدى) والتى تنتهى بعدة مآسٍ ومفاجآت ..

(مجدى) أسس منظمة عجيبة اسمها (منظمة الفوضى) تهدف لتدمير الأنظمة فى كل مكان فى العالم ، وتلقى (مايا) مصرعها فى تلك المواجهة المؤسفة بيننا وبين (مجدى) ، وينتهى الأمر بهروبه منًا إلى فرنسا ، وقد دُمِّرت حياتى ـ إذ إننى قتلت واحتجزت رهائن حقًا تحت تأثير تجربة (مجدى) ـ ولم يعد يمكننى أن أعود إلى حياتى الطبيعية ، كـ (سامى محمود) ؛ لذا يقدم لى السادة فى وزارة الداخلية عرضًا لا يمكن رفضه ..

هوية جديدة وعمل جديد .. كمسئول أمنى فى سفارة مصر فى فرنسا ..

نعم يريدوننى أن أبحث لهم عن (مجدى) ..

وهذا مـا حدث بـالفعل ، لكنــه هـو من ظهـر لـى هنـاك فـى فرنسا ، حيث قابلت رجل المخابرات الفرنسى السابق (فرانسوا) والذى كان يموّل مشروع (مجدى) فى مراحلـه الأولـى ، والـذى ساعدنى قدر استطاعته حتى استطعت الوصول إلى (مجـدى) ، ولكن بعد أن أذاق فرنسا كلها يومًا لن تنساه ..

وكانت المواجهة بينـى وبين (مجدى) حاسمة هذه المرة ، وانتهت بموته فى انفجـار صـاخب أتى بكل رجـال الشرطـة فـى فرنسا ، ولتدمر بهـذا هويتى الجديدة كمسئول أمنى فى فرنسا ، ولتبدأ حياتى كمجهول ..

العرض هذه المرة جاءنى من المخـابرات ، وكـان يتلخص فى أن أعيش حياة عجيبة كمجهول لا يحمل أى هوية ولا يعرف عنه أحد أى شىء ، وأن أنفذ لهم بعض مهام خاصة للغاية دون أن يشعر بى مخلوق ..

ومع السيد (أنور) رجـل المخـابرات العجيب الطبـاع ، بـدأت أول مهامى كمجهول لأسـاعد فى هروب الشبح ـ قاتل محترف كان يعمـل لحساب المخابرات الروسية ـ من فرنسا ، لأعيش أحداثًا شديدة الصخب كادت تودى بحياتى للمرة الألف !

يمكننا أن نقول إن ميلاد حياتى كمجهول بدأت بعد هذا .. بعد هروب الشبح ..

ففى هـذه الفتـرة كنت قـد اتخذت قرارى بالانسحاب من هــذا العالم ، لأبدأ مـن جديد حيـاة أخـرى بصورة طبيعية ، وكنـت قد أخبرتهم بالفعل عن رغبتى هذه ، وظننت أنها نهاية هذا المنعطف غير التقليدى من حياتى ، لكن الذى حدث هو ..

هو مـا ستقرؤه عبر هذه الأوراق ..

أوراق مجهول ..

د. تامر إبراهيم

1ـ ذكريات قريبة نسبيًا ..

بدأ كل شيء بالفيروس .. (باتريك) ـ زعيم منظمة الفوضى الجديد ـ هو من أعلن لنا أن هناك خمسة مصابين بفيروس ما فى فرنسا ، علينا التوصل إليهم وإلا انتشر هذا الفيروس فى أوروبا ثم إلى العالم أجمع .. من هم ؟! هذه مشكلتنا نحن لا هو !

وإذ بدأنا البحث أنا والسيد (أنور) و(بريدجيت) فتاة المخابرات الفرنسية التى انضمت إلينا مؤخرًا ، ظهرت أول مشكلتين ..

السيد (أنور) اضطر للانسحاب للتفرغ لمشكلة محركى الدمى التى حصلت المنظمة على قائمة بهم ، وهذه كارثة فى حد ذاتها ..

المشكلة الثانية ، هى أننى حين ذهبت مع (بريدجيت) إلى فيلا العالم (جاك بيار) مصمم الفيروس وجدناه يموت ، وبعدها هاجمنا فريق اغتيال خارق القوى مكلف بالقضاء علىّ شخصيًا ..

تتوالى الأحداث بسرعة ونكتشف أن السيد (أنور) مصاب وفى غيبوبة بعد أن تعرض لمحاولة قتل شبه ناجحة ، وزعيم محركى الدمى الجنرال (فيليب) خائن ويعمل مع منظمة الفوضى ، وهو الذى كاد يقضى علىّ أنا و(بريدجيت) لولا تدخل (فرانسوا) فى اللحظة الأخيرة لينقذنا ..

لكن بارقة الأمل هذه لا تستمر طويلاً ؛ إذ ينضم رجل المخابرات (أنطون) لقائمة مطاردينا ، ويتمكن (باتريك) من الوصول إلى مقر (فرانسوا) ليتخلص من الجنرال (فيليب) وهو الآن فى طريقه للتخلص من (فرانسوا) ذاته الذى نقل السيد (أنور) إلى مستشفى خاصة سرية كى لا يسقط فى أيدى رجال المنظمة ، فى حين أصل أنا إلى قائمة المصابين بالفيروس أخيرًا فى خزينة فى بنك فرنسا الوطنى فى اللحظة التى يصل فيها فريق الاغتيالات للتخلص منى داخل البنك ..

ولتكتمل البهجة (بريدجيت) ذاتها واحدة من الخمسة المصابين بالفيروس !!

ثم هجم رجال المنظمة علينا فى البنك ولولا ظهور الكونت (فرانسوا) المفاجئ لهلكنا يومها ، لكننا بقينا لنواصل الصراع ، ولتبدأ أعراض المرض فى الظهور على (بريدجيت) ..

ما أعرفه أن طرف الخيط لعلاج هذا المرض هو الجنرال (فيليب) ـ الخائن ـ وها هو (فرانسوا) يخبرنى أن (باتريك) تخلص منه ، وأنه تمكن من اختطاف محركى الدمى الخمس الذين يعملون لحسابنا ..

وبعد أن استقرت (بريدجيت) فى المستشفى السرية فى الغرفة المجاورة للغرفة التى يرقد فيها السيد (أنور) فى غيبوبته، كان (أنطون) ـ رجل المخابرات الفرنسية الذى تفرغ للقبض علينا ـ يكتشف ملاحظة مهمة فى دماء رجل المنظمة الذى أسقطه (فرانسوا) أثناء تهريبنا من البنك .. إنهم يتعاطون عقار تنمية القدرات البشرية إلى الحد الأقصى، وهو عقار كان مركز الأبحاث الأمريكى التابع للمخابرات الأمريكية يعمل على تطويره، وهذا يعنى أن ما تعرفه وتملكه المنظمة أبعد من قدرتهم على التخيل ..

ثم إن المنظمة وجهت لنا صفعة لا بأس بها حين أعلنت أن السفراء الأربعة ـ باقى المصابين بالفيروس ـ انتقل لهم المرض بمساعدة محركى الدمى المصريين، بل ونشرت صورهم لتسبب فضيحة سياسية لمصر فى فرنسا ..

الحل .. أن نحضر علاج المرض بأى ثمن وهذا ما فعلناه ..

بعد أن ذهبنا إلى مقر المنظمة الذى عثرنا على عنوانه فى شريحة الذاكرة، وبعد أن واجهنا رجال المنظمة وبعد أن انتصرنا ـ أخيرًا ـ استطعنا الحصول على علاج الفيروس، ولكننا عرفنا أيضًا أن (باتريك) يعد لضربة كبرى ستشمل العالم كله هذه المرة ..

فرنسا .. بريطانيا .. أمريكا .. ألمانيا .. روسيا ..

وفى هذا الوقت كان السيد (أنور) يقابل (أنطون) ليعلن له أن الحل الأمثل لمواجهة المنظمة هو التعاون وتبادل المعلومات، خاصة وأن المعلومات هى أقوى سلاح امتلكته المنظمة حتى الآن .. وبهذا يعرفان ـ تقريبًا ـ أهم ما حصلت عليه المنظمة فى الفترة الماضية ..

العقار (898 إل بى) الأمريكى .. نظام التسليح (ألفا) الألمانى .. وشفرات التحكم بالشبكات العالمية البريطانية ..

ما الذى يمكن فعله بهذا كله ؟ الكثير .. فقط لو عرفت كيف وأين تنفذ ضربتك ..

صحيح أن (أنطون) يحاول التذاكى والقبض على السيد (أنور) لكن هذا الأخير ينجو منه وينتقل مع (بريدجيت) إلى مقر سرى آخر لـ (فرانسوا) حتى نأتى نحن بعلاج الفيروس لننقذ حياة (بريدجيت) والسفراء ..

وفجأة يظهر (باتريك) شخصيًا .. بل وأمام مبنى المخابرات الفرنسية !!

يظهر لهم و يدعهم يلقون القبض عليـه ؛ ليعلن لهـم أنـه أراد أن يحتفل بضربته القادمـة معهم ، ولأنـه لا يهوى المزاح تـأتى ضربته ككارثة لم يشهد لها العالم مثيلاً ..

كارثة أسوأ من كل كوابيسنا ..

* * *

2ـ فوضى .. فوضى ..

فى تمـام التاسـعة إلا الربـع مسـاءً تحـرك كـل مـن (جـيرمى لاندوس) و(ماندال ريتشى) إلى عمليهما الليلى ..

(جيرمى) متزوج ولديه طفلة صغيرة فى الثانية بدأت منذ يومين فى نطق لفظة (دادا) وهذا سبب كافٍ ليشعر (جيرمى) أنه ملك متع الدنيـا وما فيهـا .. طفلتـه فى الثـانية ذات شعر ذهبى جميل ومكتنـزة كلعب الأطفـال ، وعيناهـا زرقاوان كسماء الصيف ..

قبل أن يخرج (جيرمى) إلى عمله قبّلها ثم قبّل زوجته ، وأكد لها أنه سيعود مبكرًا فى الصباح لو لم يستجد جديد .. إن ورديته تبـدأ فى التاسعة مساءً وتنتهى فى التاسعة صباحًا ، وهـى تلك الفترة التى يتحول فيها من (جيرمى) الأب الحنون إلى (جيرمى القـذر ذو العصا) ..

هذا اللقب لـه مـا يبرره فـى الواقـع ، فــ (جـيرمى) يعمـل كحـارس فـى سجن (كليرفوكس) الشـهير فــى فرنسـا ، وسـر شهرتـه أنـه كان ديرًا فى الماضى قبل أن يتحول إلى سجن أنيق

يحوى مجموعة منتقاة من السجناء لا يجدى معهم تفاهم كما يؤمن (جيرمى) ..

حين تتعامل مع سجين فالمنطق والإقناع والنقاش لا يشكلون سوى رفاهيات لا ضرورة لها ، فى حين يمكنك أن تصل إلى ما تبغيه ببضع ضربات من عصاتك المعدنية التى لا يقل طولها عن المتر ..

نعم صحيح أن العنف يولد العنف وأن بعض السجناء كوّنوا مناعة خاصة ضد ألم العصا المعدنية ، لكن حدود الجسد البشرى معروفة للجميع ..

صحيح أن أحدهم كان سيلقى حتفه أثناء محاولة (إقناعه) بألا يكرر محاولة الهرب ، لكن مميزات العصا المعدنية تستحق التضحية ..

ولأن السجن مجتمع صغير شاعت شهرة عصا (جيرمى) بسرعة بين النزلاء ، دعك ممن رأوا آثارها ومن حملوها على أجسادهم لتبقى عليها بضعة أشهر ، ولهذا اكتسب (جيرمى) لقبه الفريد هذا بين نزلاء السجن ، لكنه كان به راضيًا فهو لقب لا يدوم سوى اثنتى عشرة ساعة يوميًا فحسب ، بعدها يعود إلى منزله وإلى طفلته الصغيرة التى تلقبه بـ (دادا) ..

فى ذلك اليوم استلم (جيرمى) نوبته فى تمام التاسعة والربع ، ودخل غرفة الحرس ليترك ملابسه وعواطفه فى تلك الخزانة الصغيرة المعلقة ، ثم قبض بيده الخشنة على عصاته المعدنية وتحرك ليبدأ جولته فى ممرات السجن .. من مميزات وردية الليل أن السجناء يلزمون أقفاصهم المعدنية التى تدار إلكترونيًا بحيث يستحيل على أى واحد منهم الخروج من قفصه إلا بإشارة خاصة من غرفة التحكم المعزولة جيدًا فى الطابق العلوى ، فلا يتبقى للنزلاء سوى تبادل السباب القذر أو تبادل لفائف التبغ نصف المستعملة ، وهنا قد يساعدهم (جيرمى) شريطة أن يحصل على نصيبه المعتاد من لفائف التبغ غير المستعملة ..

فى الوقت الذى يبدأ فيه (جيرمى) جولته فى ممرات السجن ، يكون (ماندال) قد بلغ مركز الشرطة ؛ ليبدأ عمله فى مكتب التحقيقات حيث يقضى ليلته مع لصوص ومجرمى وعاهرات فرنسا ، على أمل أن يحصل منهم على اعتراف أو أن يغلق ملف قضية من كومة القضايا التى تنتظره كذنوبه ..

على عكس (جيرمى) فـ (ماندال) غير متزوج ولكنه أب لثلاثة أطفال غير شرعيين هم نتاج علاقاته السابقة، وهى علاقات لم تدم إلا لأنه لم يمكنها أن تدوم، وهو المنطق الغربى الذى يستحيل علينا فهمه .. يمكنك أن تعيش مع امرأة وتنجب منها ثم تكتشف أنكما لا تصلحان لبعضكما البعض، فتتركها وتترك أطفالك على وعد بالصداقة والزيارات فى المناسبات السعيدة !

لهذا يعيش (ماندال) وحيدًا مصابًا بأرق لا يعرف له سرًا جعله يختار وردية الليل كوسيلة لتحمل وحدة الليالى .. ولهذا يجلس الآن أمام كومة لا تتزحزح من الملفات يدخن فى سأم ..

وفى السجن يدخن (جيرمى) لفافة تبغ حصل عليها من أحد النزلاء، وهو يسير ممررًا عصاته المعدنية على قضبان الأقفاص، لتصدر ذلك الرنين المعدنى المتقطع الذى يعلن عن وجوده ..

الآن تنقسم الشاشة إلى نصفين لنرى الاثنين .. (جيرمى) فى ممر السجن و(ماندال) على مكتبه والاثنان يدخنان .. والآن يظهر عد تنازلى فى ركن الشاشة يبدأ من 10 .. 9 .. 8 .. 7 .. 6 .. 5 .. 4 .. 3 .. 2 .. 1 ..

على يمين الشاشة حيث (جيرمى) نرى قضبان الأقفاص المعدنية ترتعش للحظة مع ذلك الأزيز المميز، ثم تفتح أتوماتيكيًّا الأقفاص كلها !

هنا لا يحتاج الأمر إلا لثلاث ثوان فحسب .. أدرك (جيرمى) ما حدث وتمكن من نزع لفظة (مستحيل) من حلقه .. أدرك النزلاء أنهم ـ بمعجزة ما ـ أصبحوا أحرارًا، وأن (جيرمى القذر ذو العصا) أصبح فى متناول أيديهم .. ربما طريق الهرب كذلك ..

وفى ذات الوقت فى مركز الشرطة لاحظ (ماندال) أن هناك صندوقًا غريبًا فى ركن غرفته .. صندوقًا ضخمًا لا يحمل أى ملصق يدل على محتواه .. صندوقًا يثير الفضول حقًّا ..

وحين خرج النزلاء من أقفاصهم وهم يهللون بوحشية متجهين إلى (جيرمى) كان (ماندال) قد قام من على مكتبه، ليقترب من الصندوق الغريب فى ركن الغرفة ..

وفى السجن كان أحدهم قد انتزع العصا المعدنية من يد (جيرمى) الذى لم يملك أدنى فرصة للدفاع عن نفسه، ليهوى بها على رأسه .. تمامًا فى اللحظة التى فتح فيها (ماندال) الصندوق الغريب ليعرف ما فيه ..

وفى اللحظة التى هوى فيها (جيرمى) وقد تهشّمت جمجمته ، انفجرت القنبلة داخل الصندوق فى وجه (ماندال) لتطيح بمركز الشرطة كله ..

ما لن يعرفه (جيرمى) أن نزلاء السجن سيطيحون بباقى الحراس الذين لن يفهموا كيف فتحت أقفاصهم المدارة بنظام كمبيوتر لا يحوى ثغرة .. أنهم سيحاربون ليسقط عشرات الضحايا منهم قبل أن يتمكن الباقون من الهرب .. أن هذا لم يحدث فى هذا السجن فقط بل فى عشرات السجون فى فرنسا وبريطانيا وأمريكا وألمانيا وروسيا .. وأنه لن يرى ابنته ولن يسمع كلمة (دادا) بعد اليوم أبدًا ..

أمّا (ماندال) فقد تطايرت أشلاؤه إلى الشوارع المجاورة مع أشلاء كل من كانوا فى مركز الشرطة ، وفى ذلك الحى الهادئ فى باريس تردد دوى الانفجار طويلاً .. ثم دوى انفجار ثان .. فثالث .. فرابع .. فخامس ..

عشرات الانفجارات فى فرنسا وبريطانيا وأمريكا وألمانيا وروسيا .. ومئات الهاربين من السجون يتدفقون فى شوارع العالم فلا نجد سوى كلمة واحدة لنصف بها الموقف ..

فوضى .. فوضى .. فوضى ..

* * *

« هذا وقد قدرت الخسائر المبدئية فى فرنسا فحسب بما يربو على مليارى يورو فضلاً عن الخسائر فى الأرواح ومئات حالات الهرب المؤكدة من السجون مما دفع بقوات الجيش للتدخل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وبهذا تكون تلك المنظمة التى تسمى نفسها (منظمة الفوضى) قد سببت أكبر كارثة لهذا القرن على الإطلاق ، ولم يتم التوصل حتى الآن إلى الطريقة التى تم تنفيذ هذه الضربة بها ، وبهذا سيعيش العالم كله فى حالة فزع متواصلة إلى أن يتم القضاء على هذه المنظمة التى سببت كمًا من الفوضى لم يشهده العالم من قبل .. وفى تصريح للسيد .. »

لكن السيد (أنور) ضغط على زر الريموت ليخرس تلك المذيعة الحسناء ، وليلتفت إلينا وقد حمل وجهه ذات التعبير الذى حملته وجوهنا ..

الصدمة !

لقد فاقت ضربة المنظمة هذه المرة توقعات الجميع .. فاقت أسوأ كوابيسنا ، لكن هذا ليس كل شىء ..

« لقد استخدم شفرات التحكم البريطانية فحسب .. صحيح أنها لاتزال قيد التطوير ، لكنه طورّها ليسيطر على كل سجن يدار بشبكات الكمبيوتر .. »

قالها (أنور) مفسرًا ، فلم أجد ما أقوله سوى :

ـ هذا يعنى أنه لم يخرج كل ما فى جعبته بعد .. هناك ضربات أخرى ..

هنا أجاب (فرانسوا) الذى كان يرتجف غضبًا وهو يشاهد ما يحدث لبلاده :

ـ مؤكد .. ضربته هذه شملت خمس دول متفرقة وهذا مجرد إعلان آخر أنه يتطوّر وأنه لاتزال أمامه مراحل أخرى .. فى البداية شغلنا نحن بموضوع الفيروس هذا لينفذ هذه الضربة والآن العالم كله مشغول بما يمنحه المجال لضربة أقوى وأعظم تأثيرًا ..

كان منطقه صحيحًا لدرجة أننى لم أتمالك ذلك الخوف الذى بدا فى صوتى :

ـ ضربة أقوى؟ ما الذى يمكنه فعله أكثر من هذا ..

ثم تنبهت إلى نقطة أهم لأردف :

ـ (باتريك) ذاته فى مقر المخابرات الفرنسية الآن ، ولا أحسب أنه سيتمكن من الخروج من هناك بسهولة ..

هنا قال (أنور) مصححًا :

ـ لا تنس أنه من سعى إلى دخول مبنى المخابرات الفرنسية ، وهذا لا يعنى سوى أنه يتبع مخططًا ما ..

أجاب (فرانسوا) :

ـ أيًا ما كان مخططه ، أتحسب أنهم سيسمحون له بالخروج .. سيخرجون المتسبب فى أكبر عملية إرهابية شهدها العالم كله ..

لكن (أنور) كرر :

ـ مازلت أعتقد أن مجرد وجوده فى هذا المبنى خطر فى حد ذاته .. لو كنت مكانكم لعملت على نقله إلى مقر أكثر أمنًا ..

ـ على أية حال ليست هذه مشكلتنا الآن .. مشكلتنا أننا لم نعد نمسك بطرف خيط لنواصل به عملنا ..

هنا لم يجد أحدنا ما يقوله ، وساد الصمت بيننا ..

إننا بالفعل لا نملك أى خيط ليقودنا إلى أى مكان .. وهذا يعنى أنه لا يوجد أمامنا إلا انتظار باقى ضربات المنظمة .. هذا يعنى أننا خسرنا ..

فى تلك اللحظة شعرت بأغرب شىء من الممكن أن أشعر به على الإطلاق ..

شعرت بأننى أفتقد (مجدى) ! على الأقل أحتاج لوجه مألوف واحد حتى لو كان وجه عدوى !

والآن هأنا أشعر أن لى يدًا فى كل ما حدث بصورة أو بأخرى ، ولا أملك حتى أن أساعدهم بشىء لإيقاف (باتريك) الذى لم نشعر أن وجوده الآن فى مبنى المخابرات الفرنسية قد يحدّ من نشاطه ولو قليلاً ..

عشرات الضحايا يطالبوننا بالقصاص وعشرات الكوارث التى حدثت ، والتى قد تحدث تصرخ لنا لكى نمنعها أو نقلل من أضرارها ، لكننا ها نحن نجلس جميعًا فى مخبأ لا نملك سوى التفكير غير المجدى والانتظار الممض ..

(فرانسوا) يدخن غليونه .. (أنور) يحاول ألا يتركنا ليقضى وقته مع (بريدجيت) .. رجال مخابراتنا وبعض رجال (فرانسوا) يجمعون لنا كمًّا من المعلومات يكفى لاحتلال دولة ، لكنه لا يكفى لمجرد الاقتراب من منظمة الفوضى وفوق هذا كله ..

« هناك طرف خيط محتمل .. لست واثقًا من نتيجته لكننى واثق من خطورته .. »

قالها (أنور) فجأة فالتقت كل العيون عند وجهه ، ليردف موجهًا حديثه لى هذه المرة :

ـ أنت من ستتعرض إلى هذا الخطر ..

صدمنى قوله وامتزجت الحيرة فى أعماقى مع الدهشة ، لكننى أجبرت نفسى على النطق أخيرًا لأجيب :

ـ أنا مستعد ..

* * *

3 - لعبـة لـن تنتهى !

وفـى هـذا الوقت كـان (أنطون) لا يزال يحمل ضمـادة أنفـه الضخمة ، وهو يقف أمام مدير المخابرات الفرنسية فى مكتب هذا الأخير ، يحاول تجنب اللعاب الذى يتناثر فى وجهه مـع صرخـات المدير :

ـ قابلت المصرى ؟؟ وتركته يهرب ؟؟ هو و(بريدجيت) و(فرانسوا) وكل من معه ؟؟ هل جننت ؟؟ أنت بالتأكيد مجنون .. لو أرسلت ابنـة أختى لما عادت إلىّ بهذه المصيبة ..

ـ سيدى الذى حدث هو ...

ـ الذى حدث أننى وثقت فـى مجنـون .. أرأيت نتيجـة تخـاذلك أيها الأحمق ؟ أرأيت ما الذى أصاب فرنسا ؟؟

هنـا لـم يحتمـل (أنطون) فهـوى بقبضتـه علـى سطح مكتـب المدير ، ليجيب :

ـ نحن نعرف أن المصريين يحاولون منـع منظمـة الفوضى التـى تسببت فى هذا كله وأنا لم أتخاذل ، بل إن لقائى مع المصرى ـ وعلـى الرغم من تمكنه من الهرب ـ مدّنى بكم هائل من المعلومـات التـى سنحتاج إليها فى المرحلة القادمة ..

تراجع المدير فى مقعده ، ليسأل ساخرًا :

ـ وما الذى سيحدث فى المرحلة القادمـة ؟ سنترك تلك المنظمـة لتحتل فرنسا ؟

ـ لا .. لكننا كنا نعمل طيلة الوقت على محاولـة الوصـول لهـا وتوقّع ضرباتهـا القادمـة لتفاديها ، لكن بعد مـا حـدث اليوم لـم يصبح أمامنـا نحـن والعـالم كلـه سـوى هـدف واضـح صريـح .. سحق هذه المنظمة سحقًا ..

وبدون أن ينتظر إذن المدير ، جلس (أنطون) أمامه ليردف :

ـ نحن الآن نعرف إمكانياتهم .. شفرات التحكم البريطانية استغلوها فى التحكم فى السجون ، لكنها لم تعد ذات قيمة الآن .. الآن هـم يملكون نظام التسليح الألمـانى والعقـار الأمريكـى الخـاص بمنـح قدرات خارقة لمن يتناوله بجرعات منتظمة .. وأنا قمت بمتابعـة هذا العقار لأعرف كيف وصل إلى المنظمة ولن تصـدق مـا الـذى توصلت إليه ؟

ـ ماذا ؟

ـ مدير مركز الأبحاث الخاص بوزارة الدفـاع الأمريكـى نفسـه هو الذى قام بتسريب العقار للمنظمة ، وهذا يعنى إما أنه ضحيـة

تجربتهم أو أن نفوذ المنظمة تجاوز كل توقعاتنا ، وحتى هذا لا يهم الآن .. المهم هو الكمية التى حصلت عليها المنظمة .. إنها كمية كافية لجيش صغير .. جيش سيمتلك قدرات خارقة وسيتسلح بنظام التسليح الألمانى لينفذ ضربة أهم من كل ما حدث بكثير .. هذا هو ما تسعى إليه المنظمة حقًا .. كل ما حدث حتى الآن مجرد لعبة لن تنتهى ..

انتهى (أنطون) مـن الشرح أخيرًا ، فشبك مدير المخابرات أصابعه وأخذ يفكر بعمق شعر معه (أنطون) أنه من الأفضل أن يلوذ بالصمت حتّى ..

ـ أنت محق .. لكن هذا كله لا يجيب على سؤال عجيب ..

ـ ما هو هذا السؤال ؟

ـ (باتريك) زعيم هذه المنظمة .. إنـه هنـا .. لقد جـاء إلينـا بنفسه ..

ـ ماذا ؟!!

قالها (أنطون) وهو يهبّ ذاهلاً :

ـ (باتريك) هنا ؟؟ أنا لم أعرف ..

قاطعه المدير بملل :

ـ لا داعى للتحمس .. لقد جاء إلينا طواعية لكننـا لم نحصل منـه علـى حرف واحـد .. سأريك الآن فكاميرات المراقبـة التـى تنقل لنا صو ...

لكن المدير الذى كان يضغط على زر فى مكتبه وهو ينطق كلماته السابقة هذه ، لم يجد الفرصة ليكمل جملته ..

فالشاشة التى نقلت له بثًّا مباشرًا للغرفـة التـى احتجزوا فيها (باتريك) ، كانت تعلن وبوقاحة أنه لم يعد هناك !

أنه ـ وبكل بساطة ـ هرب !

هرب من مبنى المخابرات الفرنسية !!

* * *

وحين عثرنا على (لارا) وجدنا أنها ابتلعت كمية من الكحول كفيلة بأن تجعلها سـريعة الاشتعال ، وكـانت تضحك بـلا انقطـاع ونحن نشرح لها ضرورة التجربة التى ستنفذها علىّ حالاً ..

وقبـل أن تتسـاءل عـن السبب الـذى يجبرنـا علـى احتمـال هـذه العبقرية الفـذة المسـماة (لارا) سـأخبرك أنـا أنهـا الوحيدة التـى

لديها فكرة محددة عمّا حدث داخل عقلى ، بعد تجربـة (مجـدى) علىّ ، كما أنها الوحيـدة التـى يمكننـا أن نثق فيهـا ثقـة مطلقـة ، خاصة وأنها تملك ذاكرة بعوضة لا تبقى شيئًا ..

وهكذا استغرق الأمر منّـا ساعتين لنفيقها ولنذكرها بمن أنـا ومـن معى وما الـذى حدث ويحدث ، والأهم من هذا كله بأنهـا (لارا) !

فى النهاية كانت تشعل لفافة تبغ وتجلس أمامنا لتقول بوضوح وجدية :

ـ ما تطلبونه منى خطير وهذه ليست أول مرة أقولها .. لا أعرف ما الذى قد ينتج عن هذه التجربة !..

سألها (أنور) بموضوعية :

ـ ما هى أسوأ الاحتمالات ؟

ـ قد يفقد ذاكرته كلها .. أو ...

ونظرت إلىّ بإشفاق لتواصل :

ـ أو قد يجنّ ..

نصيحة مجانيـة .. حين تنظر لـك (لارا) بإشـفاق ، تـأكد أن الأسوأ قادم لا محالة !

ولأن (لارا) أخذها حماس الشرح قالت :

ـ عقله سيقاوم ويشدة العودة لذكريات ما حدث لـه طيلـة الأسبوع الذى قضاه مع طبيبكم المصرى (مجدى) .. ما سأحاول تجربتـه معــه هــو خلق شــخص آخــر تمــامًا داخــل عقلـه .. شخص لا وجود له ولن يكون إلا داخل رأسـه .. هـذا الشـخص سيعمل لدينـا وسيحاول التفتيش فى عقله عن الذكريـات المخبـأة فـى رأسه .. لكننـى لا أضمن نتيجـة هذا العبث فـى منطقـه .. ربمـا سيطر هـذا الشـخص ـ الـذى سأكونه فى عقلـه ـ عليه .. ربمـا تعـارض وجـوده مـع شخصـيته الأصلية لتمحى الشخصـيتان ويفقـد كـل ذكرياته ، لكن الأغلب أنه سيجنّ .. عقلـه لن يحتمل هذا كله ..

لم أملك نفسى من أن أجيب :

ـ أشكرك على هذا التشجيع .. لكن هل مـن الممكن أن تـأتى علينـا هذه التجربة بأى نتائج إيجابية ؟ هل سنعرف ما الـذى حدث لـى أخيرًا ؟

ـ أشك .. لكن يبدو أنه لامفر سوى هذا .. لو حصلنا على ما يخفيه عقلك عنّا ، سيكون هذا هو الخيط الوحيد الذى ستستخدمونه للوصول إلى المنظمة ..

كان (أنور) فى حالة تردد واضحة ، على عكس (فرانسوا) الذى كان فى حالة من الغضب مما أصاب بلاده ، جعلته على استعداد تام ليهشم جمجمتى ليحصل على ما يبغيه من معلومات لو كان هذا ممكنًا ، أمّا (بريدجيت) فكانت قد بدأت تتحسن إلى الدرجة التى مكنتها من الجلوس معنا ، لتقول بتهالك :

ـ لابد أن هناك طريقة أخرى .. لا يجب أن نخاطر به هكذا ..

قالتها فربّت (أنور) على كفها برفق ، وهو يجيب :

ـ للأسف لا نملك سوى هذا الحل ..

ـ لكنه .. لا يستحق أن يعانى ..

هنا قال (فرانسوا) بغلظة :

ـ ولا فرنسا ولا العالم كله يستحق ما حدث لـه .. أنت نفسك كدت تلقين حتفك ، وبأبشع وسيلة ممكنة ..

لم أمنح (بريدجيت) فرصة للرد عليه ، بل قلت على الفور :

ـ وأنا لم أعترض .. لنقم بالتجربة وليكن ما يكون ..

هزّت (لارا) كتفيها باستسلام ، ثم أشارت إلى الغرفة الصغيرة :

ـ سنحتاج للهدوء والظلام .. انتظرونا حتى ننتهى ..

وهكذا تبعتها إلى الغرفة الصغيرة ، لكنها لم تنس أن تلق بنظرة لوم للباقين ، قبل أن تغلق الباب علينا ..

ودون أن أنطق بحرف رقدت على الأريكة هناك وأخذت أحاول الاسترخاء رغم كل ما حدث ويحدث .. ثم أغلقت عينى بينما جلست (لارا) جوارى لتبدأ عبثها فى عقلى ..

عقلى الذى أصبح خيطنا الوحيد لنواجه المنظمة ، قبل أن تعمّ الفوضى كل شىء ..

* * *

وفى مبنى المخابرات الفرنسية كانت حالة الذهول تمتزج بحالة الذعر ، والمدير شخصيًا يقف فى الممرات يصرخ فى الرجال :

ـ كيف هرب ؟

لكنهم لم يملكوا إجابة .. فقط شعورهم بـالذهول والخجل والعجز بعد أن فقدوا رئيس منظمـة الفوضـى التـى أذاقتهم ويــلات لـم يشاهدوا مثلها منذ الحرب العالمية الثانية ..

وفى الغرفة التى كان يحتجزون (باتريك) فيها كان فريق مـن الرجال يعكف على فحص الغرفة فى محاولة يائسة لكشف طريقة هربه ، ليهتف أحدهم فجأة :

ـ عثرت على هذه ..

اتجهت له كـل العيون فرفـع يده التـى حملت (ذاكرة متنقلـة Flash Memory) صغير الحجم ، ليقول :

ـ كانت مخفية فى ركن الحجرة ..

لكن المدير صاح على الفور :

ـ أوصلوها بأى كمبيوتر ..

قالها فأسرع إليه (أنطون) بكمبيوتـر محمــول ، ليوصل الأول الذاكرة المتنقلــة بــه ، ومــا هــى إلا لحظــات حتــى كــان وجــه (باتريك) يملأ الكمبيوتر أمامهم وابتسامته السـاخرة تتلوى مـع كلمــاته :

ـ أهلا بكم .. لو كنـت مكانكم لما أضعت الوقت فى التفكير فى كيفيـة خـروجى من هنـا .. صحيح أن خـروجى مـن مبناكم كـان أسهل علىّ من الخروج من جراج مزدحم ، لكـن المهم الآن هو أننى لم أخرج خالى الوفـاض .. شـىء مـا اختفـى مـن مبنـاكم .. شىء دخلت أساسًا لأحصل عليه .. ما هو هذا الشىء ؟ سأترك لكم مهمة الإجابة ..

ثـم إن الصـورة تموجت بشـدة ، ثـم بدا الكمبيوتـر المحمـول وكأنما أصابه الجنون قبل أن يتوقف عن العمل فجـأة .. وهمـس أحدهم مفسرًا :

ـ فيروس كمبيوتر ..

لكن أحدًا لم يهتم .. الكارثة الجديدة شلت قدرتهم على التفكير وعلى الدهشة ..

والسؤال لا يزال ينتظر إجابة ..

ما الذى اختفى من مبنى المخابرات الفرنسية ؟؟

* * *

المشهد الأخير فى هذا الفصل متوقع نوعًا ما .. ربما جزء منه على الأقل ..

لقد كان الكونت (فرانسوا) والسيد (أنور) والرجال يجلسون وقلوبهم تخفق لهفة وتوترًا فى انتظار ما سيسفر عنه تنويمى المغناطيسى على يد نابغتنا (لارا) ..

أى طرف خيط قد يعنى أن هناك أملاً .. أى طرف وبأى ثمن ..

فى حياة هؤلاء الرجال وحين يمر وقت طويل دون أن يتلقى أحدهم معلومة من أى نوع ومن أى جهة فى ظروف كهذه ، فهذا يعنى الفشل كما ينبغى له أن يكون .. ما تملكه من معلومات هو الذى يضمن لك استمراريتك فى هذا العالم .. فى هذه المهمة .. وأحيانًا فى هذه الحياة ..

فقط المعلومات ..

لذا ـ وهذه نصيحة مجانية أخرى ـ لا تجعل سيل المعلومات يتوقف حتى لو كان هذا قد يؤدى إلى ..

« لقد .. لقد أخطأت .. ربما .. لست واثقة ، لكن هناك كارثة ! »

تقولها (لارا) بارتباك تضاعف حين حرقتها الأعين المتسائلة ، فأغلقت عينها لتردف :

ـ رجلكم لم يعد كما كان .. لم يعد هو .. هو ..!!!

* * *

4ـ مستر هايد..

من أنتم ؟

أعرف أن السؤال الأهم هو .. أين أنـا ؟ لكن جـزءًا مـا فـى ذاكرتى يعرف أين أنا ويخبرنى أنهـا ليست المشكلة .. المشكلة هى .. هى .. نعم ..

من أنا ؟!!

ومن هؤلاء الذين يرمقوننى بانبهار كأنى مخلوق فضائى ؟؟

مهلاً .. مهلاً .. سأستجمع أفكارى ..

أنا الآن أقف فى منزل شبه خـال مـن الأثاث وإلى جوارى تلـك البدينة التى تفوح رائحة الكحول منهـا ، وهى تنظر لى فى أسف كأنهـا مذنبـة .. هى التى استيقظت لأجدها تنظر لى فى فزع ، ثم .. نعم .. هى من أسمتنى (هايد) ..

إذن أنا اسمى (هايد) !

هناك ذلك العجوز الأرستقراطى والذى يناديه الكل بـ (فرانسوا) فـى حين يخبرنى عقلـى أنـه يستحق لقـب كونـت .. لمـاذا ؟ لا أعرف .. هناك أيضًا ذلك الرجل الذى ينظر لى قائلاً :

ـ ألا تتذكرنى ؟

لكنى لا أجيبه بل تجيب عليه الحيرة التى ارتسمت على وجهـى .. من هو ؟

تتطوع البدينة لتقول :

ـ إنه السيد (أنور) .. حتى هذا نسيته ..

فيصيح فيها السيد (أنور) غاضبًا :

ـ ما الذى فعلته يا (لارا) ؟؟!

ـ سأشرح لكم ..

فيجلس الجميع وأجلس أنا وسطهم شاعرًا وكأننى قادم من غيبوبـة عميقة لا أذكر قبلها شيئًا .. كأننى .. كأننى ولدت الآن فحسب !

وتبدأ البدينة (لارا) فيصغى الجميع :

ـ كما أخبرتكم لم يكن من الممكن أن أعود بذاكرة رجلكم إلـى الماضى لأعرف ما الذى حدث له فى الأسبوع الذى فقد فيه ذاكرتـه ؛ لذا قمت بصنع شخصية جديدة فى رأسـه .. رجـل آخر أسميته (هايد) ..

(هايد) ! إنه اسمى !

ـ ولقد قام (هايد) هذا بالتجول فى ذاكرة رجلكم حتى وصل إلى ذلك الأسبوع الذى فقد فيه الذاكرة ثم عاد مرة أخرى ..

ـ عظيم ..

ـ لا .. ليس عظيمًا بالمرة .. المفترض أن (هايد) كان سيخبرنى بما حدث ثم أقوم أنا بإلغائه ليستعيد رجلكم وعيه وذاكرته ، لكن ما حدث هو ...

أكمل السيد (أنور) :

ـ أن مستر (هايد) لم يرحل ..

ـ نعم .. إنه الآن من ترونه أمامكم ..

فيعود الكل للنظر إلىّ فى فضول ، ويقول الكونت ساخرًا :

ـ وماذا عن الدكتور (جيكل) ؟

ـ تقصد رجلكم الأصلى .. إنه موجود .. لكنه .. لكنه .. نائم الآن .. نعم لنقل إنه نائم ..

فصاح (أنور) بعصبية :

ـ ومتى يستيقظ ؟

أجابته (لارا) بحذر :

ـ حين ينام مستر (هايد) .. لا أعرف متى ولا كيف .. لكن من الممكن أن نلخص الموقف بأن رجلكم أصبح مصابًا بانفصام فى الشخصية .. انفصام أنا السبب فيه ..

تقولها فيختلط الذهول على الوجوه بعدم التصديق ..

أمّا أنا فأتساءل :

ـ عمّن تتحدثين ؟

ـ عنك يا عزيزى ..

ـ مستحيل !

ـ سأثبت لك .. ما الذى تتذكره قبل اليوم ؟

صدمنى سؤالها ، لكننى أخذت أعتصر عقلى بحثًا عن أى شىء .. أى شىء ..

أمّا الكونت فقال حانقًا :

ـ هذا ما كان ينقصنا .. المنظمة تستعد لضربة أخرى والكوارث تتوالى على فرنسا وحتى رجلكم أصبح معتوهًا لا فائدة منه ..

لكن السيد (أنور) قال فى صبر :

ـ انظر لى .. اهدأ .. هل تذكر أى شىء ؟

لكنى لا .. ثم فجأة تملأ تلك الصـورة رأسى كله .. صورة لقاعـة ضخمة اكتظت بعشرات الأجهـزة والرجـال ذوى الوجوه الجـامدة .. ثم تلاشت تلك الصورة لتظهر صورة أخرى ..

صورة لرجل ذى ذقـن مهذبة وابتسامة مخيفـة ونظـرات يطل منها الجنون ..

وبلا وعى همست :

ـ الدكتور مجدى ..

قلتها ، فبدا الأمل على وجه السيد (أنور) :

ـ نعم .. (مجدى) .. هل تذكره ؟

هل أذكره ؟ نعم .. لكن .. لا ..

إن عقلى مشوّش وقدرتى على استجـ ...

اقتحم أحدهم غرفتنا صارخًا :

ـ (باتريك) .. لقد هرب من مبنى المخابرات الفرنسية ..

هب الكونـت والسيد (أنـور) ذاهلين ، فنظـرت أنـا لــ (لارا) متسائلاً ، لكنها هزّت رأسـها بمعنـى أنهـا لا تفهـم .. أمّا الرجـل فأكمل :

ـ ليس هذا فحسب .. لقد ضرب ضربة جديدة ..

وألقى بما لديـه لينهـار الكونـت على أقرب مقعد بينمـا تجمّد السـيد (أنــور) فى مكـانه كأنما فقـد القـدرة علـى التحـكم فـى جسـده ..

وعلى الرغم من أننى لا أفهم شيئًا إلا أننـى أدركت مـا يسعى إليه (باتريك) هذا ..

الفوضى ..

* * *

أنا لا أعرف (أنطون) هذا ، لكننى سأنقل لـك مـا يفعلـه على أمل أنك ستفهم حتى ولـو لـم أفهـم أنـا .. كيف أعـرف مـا الـذى يفعله (أنطون) الآن ؟ مادمت تقرأ هذه الأوراق فهذا يعنى أننـى أعرف ولو بعد حين ..

المهم .. لقد كان يقف أمام التلفاز يصغى للمذيعة الباريسية الأنيقة التى تقول :

ـ ويعدّ تفجير السفارات الذى أسفر عن مقتل كل مـن السفير الأمريكى و الروسى والصينى والألمانى إضافة إلى مئـات القتلـى والجرحـى ، استمرارًا لأحداث العنـف والفوضى التــى تشـهدها

فرنسا هذه الأيام ، على يد (منظمة الفوضى) .. ومن المتوقع أن تؤدى هذه التفجيرات إلى ..

« كارثة .. »

همس بها (أنطون) ثم ابتعد ليتجه إلى المكان الوحيد الذى قد يجد فيه أملاً لوقف هذا كله ..

إلى الغرفة التى كانوا يحتجزون فيها (باتريك) ..

يجب أن يعرف كيف تمكن من الهرب .. يجب ..

والواقع أننى أتفق معه فى هذه النقطة ، فنحن نتحدث عن مبنى المخابرات الفرنسية لا عن (موقف العتبة) ، والهرب من هذا المبنى يعنى إما أن (باتريك) هذا ساحر أو ..

« أريد تسجيلات الغرفة منذ لحظة دخول البريطانى وحتى خروجه منها .. »

قالها (أنطون) بلهجة آمرة إلى قائد فريق الأمن الذى انهمك رجاله فى فحص الغرفة ، فأجاب هذا الأخير :

ـ لكن ..

ـ نفذ ما أمرتك بـه وإلا سأهشم عظامك كلها .. واطلب من رجالك الخروج ..

ـ لكـ ...

لكن (أنطون) ضمّ قبضته فى غضب ، ليتراجع قائد فريق الأمن بسرعة ، وهو يصيح فى رجاله :

ـ كلكم .. إلى الخارج .. الآن ..

ثم التفت إلى (أنطون) :

ـ سأحضر لك التسجيلات حالاً ..

وهمّ بالخروج وراء رجاله ، لكن (أنطون) استوقفه ، قائلاً :

ـ كيف هرب هذا البريطانى بالضبط ؟

ـ لا أعرف .. لا أصدق حتى الآن أنه فعلها .. طاقم كامل من رجالى لم يتحرك من أمام باب الغرفة وكما ترى بنفسك لا توجد نافذة أى أنه لم يخرج من الغرفة ..

سأله (أنطون) ساخرًا :

- أتقصد أنه تلاشى ؟

- لا أعرف .. ما أعرفه هو أننى أثق فى رجالى وكلهم أكدوا لى أن البريطانى لم يخرج من الغرفة أبدًا .. كيف اختفى إذن ؟ هنا ينتهى عملى ويبدأ عملك ..

فكّر (أنطون) للحظات ، ثم قال أخيرًا :

- أريد تسجيلات كاميرات المراقبة خلال دقيقة على الأكثر .. هيا ..

انطلق قائد فريق الأمن مبتعدًا ، فدار (أنطون) حول نفسه فى الغرفة وهو يفكر فى عمق ..

إن كان (باتريك) لم يخرج من الغرفة من الباب .. إن كان قائد فريق الأمن محقًّا تمامًا فيما قاله ، فكيف فعلها (باتريك) ؟؟

ومرة أخرى وجد (أنطون) نفسه يعود إلى ذات النقطة .. إن الهرب من هنا يستلزم إما أن تكون ساحرًا ..

أو ...

* * *

وفى هذا الوقت كان أحد رجال (فرانسوا) ينقل له تفاصيل المأساة التى حدثت ..

- الهجوم تم باستخدام نظام التسليح الألمانى .. ثلاثة رجال لكل سفارة والهجوم على أربع سفارات بدأ فى ذات اللحظة .. العملية كلها استغرقت سبع دقائق تحولت فيها السفارات الأربع إلى حطام مشتعل فنظام التسليح الألمانى كما تعرف لا يبقى على شىء .. إنه ينسف أى شىء فى طريقه مهما بلغ حجمه أو قوته .. المشكلة أن حالة الفزع التى تعيشها فرنسا هذه الأيام مع كل هذه الكوارث ومع مئات المجرمين الذين عادوا إلى شوارعها ، أدت إلى تأخر عمليات الإنقاذ لخمس ساعات كاملة .. أى أنه حتى لو كان هناك أدنى أمل فى إنقاذ أحد من هذه المذبحة ، فلقد ضاع مع هذه الظروف .. كما أنه أضاع فرصتنا فى تعقبهم خاصة أنهم لم يتركوا وراءهم أى دليل و ...

- كفى ..

قالها (فرانسوا) بمرارة ، ثم أشار لرجله بالانصراف .. ولدقائق لم ينطق أحدنا بحرف ، قبل أن يقول (فرانسوا) أخيرًا بغضب :

- إنهم لم يهجموا على سفارتكم ..

أجابه السيد (أنور) فى دهشة :

ـ أهذا ما يهمك الآن ؟

ـ لماذا لم يهاجموكم ؟

ـ لأنهم يريدوننا أن نبدو كمتواطئين معهم .. يريدون أن تبدو منظمتهم وكأنها مصرية لنتحمل نحن المسئولية ..

ـ لِمَ لا ؟ مؤسس هذه المنظمة منكم ..

ـ لكنه أسسها بأموالك ..

لم أكن أفهم حرفًا مما يقولانه ، لكننى شممت رائحة التوتر تتزايد ، فقلت :

ـ لا داعى لأن نفقد ..

لكن الكونت انقض علىّ فجأة ليلصق مسدسه برأسى ، صارخًا فى ثورة :

ـ اخرررررس .. أنت بالذات اخرس ..

ـ لكننى لم أفعل شيئًا ..

قلتها فى حيرة حقيقية .. إن وجودى ذاته بدأ منذ دقائق .. فكيف ؟

تدخل السيد (أنور) ليبعده ، لكن الكونت جذب إبرة مسدسه ، قائلاً :

ـ الآن .. أريد أن أعرف كل ما حدث لك الآن ..

صاحت (لارا) فى هلع :

ـ هذا الأسلوب لن يجدى و ...

ـ الآن .. أو أنسف رأسك ..

ـ سأرحل إذن .. لن أحتمل هذا ..

قالتها ثم أسرعت مغادرة المكان تاركة الفوهة باردة فى رأسى وضربات قلبى تتسارع ..

إننى أعرف .. لكن ..

عاجز عن التذكر ..

وبتوتر أخرج السيد (أنور) مسدسه ليصوبه إلى (فرانسوا) فصوّب رجال هذا الأخير مسدساتهم إلى (أنور) وإلىّ ، وجذب كل ذى مسدس إبرة سلاحه ..

ـ قلت الآن .. تذكر الآن وإلا ...

ـ أخفض مسدسك يا (فرانسوا) ..

ـ لو تدخلت سأقتلك أنت أيضًا ..

ـ حاول أن تفعلها و ...

« كفى ىىىىى ! »

ارتفعت الصرخة فجأة ، فالتفتنا كلنا إلى تلك الباريسية الحسناء التى وقفت بإرهاق واضح على باب إحدى الغرف ، ليقول السيد (أنور) :

ـ (بريدجيت) .. لماذا غادرت فراشك ؟

ـ ما الذى يحدث هنا ؟ هل فقد الجميع عقولهم أم أننا انتصرنا على المنظمة و بدأنا فى محاربة بعضنا البعض ..

قالتها فخفض الكونت (فرانسوا) مسدسه بتردد ومن ورائه خفض الجميع أسلحتهم ، لأقول أنا ممتنًا :

ـ أشكرك .. لكن .. من أنت ؟

ـ من أنا ؟؟

قالتها فى دهشة وكأنه يفترض بى أن أعرفها ، لكن (أنور) أجابها :

ـ سأشرح لك فيما بعد ..

فعادت نظرات الحيرة والترقب المتبادلة بين الجميع فى انتظار أى شىء ..

ثم ـ ولحسن الحظ ـ دخل أحد الرجال علينا والهلع يطل من خلجاته ، ليصرخ :

ـ رجال المنظمة .. لقد حددوا موقعنا .. إنهم يهجمون الآن !

* * *

5 ـ المنظمـــة ..

نعود إلى (أنطون) الذى قتل الغرفة التى كانوا يحتجزون فيها (بـاتريك) فحصًا ، قبل أن يراجـع تسجيلات كـاميرات المراقبـة للمرة الألـف ، وشـعور قـاس فى أعمـاقه يهتـف بلا انقطـاع بأن هناك شيئًا ما خطأ ..

شيئًا لم ينتبـه لـه أو شيئًا يرفـض تصديقـه وإن أدركـه عقلـه بالفعل ..

فى تلك اللحظة عاد إليه قائد فريق الأمن والملل واضح عليه ، ليقول :

ـ هل انتهيت ؟

فتردد (أنطون) قبل أن يجيبه باقتضاب :

ـ نعم ..

ـ هل عثرت على شىء ؟

ـ لا ..

قالها بمرارة وهو يستعيد كل شىء فى رأسه .. ضربات المنظمة .. ذلك المصرى الذى يحاربهم وقائده الذى كاد أن يسقط فى يـده ..

(بريدجيت) التى اتضح أنها عميلة لهم .. ثم مجـىء (بـاتريك) وخروجه من هنا كأنه ساحر ..

أو ...

ـ أريد تسجيلات الغرفة الصوتية ..

قالها فبدت الدهشة على قائد فريق الأمن :

ـ ماذا ؟

ـ التسجيلات الصوتية .. إننا نسـجل استجواباتنا بكاميرات المراقبة وبميكروفونات خاصة ، أليس كذلك ؟

ـ نعم .. لكنها لا تحمل شيئًا لم تنقله كاميرات المراقبة و ..

قاطعه (أنطون) بنظرات حادة ، دفعته للتراجع قائلاً :

ـ سآتى بها على الفور ..

وأسرع خارجًا من المكان ، تاركًا (أنطون) يحاول تنظيم أفكاره وهو يراجع تسجيلات كاميرات المراقبة للمرة الأخيرة ..

(باتريك) أمامه الآن يجلس تلك الجلسة المسترخية وابتسامته الساخرة على شفتيه قبل أن يدخل عليه المدير ليحاول التحدث معه ، لكن (باتريك) لم يجبه بحرف ، بل أخذ ينظر إليه فى استمتاع ،

قبل أن يتركه المدير .. ثم وبعد هذا بساعة كاملة نظر (بـاتريك) فجأة إلى كاميرا المراقبة مباشرة ، وهمس :

ـ الآن أتلاشى ..

ثم سطع ضوء مبهر فى المكان ومع تلاشيه اختفى (بـاتريك) تمامًا ..

كأنه ساحر ..

أو ...

وفجأة انتبه (أنطون) إلى شىء ما .. فجأة منحه عقله الحقيقـة ، فأعاد تشغيل شريط المراقبة وقرّب وجهه من الشاشـة تمامًا ، قبل أن يدرك الخدعة ..

لا .. إنها ليست خدعة ..

إنها مفاجأة قاسية ..

أقسى مما تخيل بكثير ..

* * *

وفى تلك اللحظة بدأ الهجوم ..

فجأة ومن كل الجهات اخترقت مئات الرصاصات الجدران والنوافذ فألقينا بأجسادنا على الأرض وأحد رجال (فرانسوا) يصرخ :

ـ اللعنة .. أى سلاح يستخدمون ؟! الرصاصات تخترق كل شىء ..

وسألت أنا فى حيرة :

ـ هل هو نظام التسليح الألمانى الذى كنتم تتحدثون عنه ؟

فأجابنى (فرانسوا) صارخًا :

ـ اخرس وإلا سأقتلك قبل أن يفعلوها هم ..

لماذا يكرهنى إلى هذا الحد ؟

وصاحت (بريدجيت) :

ـ سيقتلوننا فى لحظات لو لم نتحرك ..

وهى محقة فى هذه النقطة ..

لكنى أشعر بطاقة عجيبة تتخلل كل خلية فى جسدى وأشعر أننـى مدرك تمامًا لما يحدث وكأنه يعرض أمامى بالتصوير البطىء ..

إنهم خمسة رجـال .. اثنـان عنـد المدخـل وثلاثة مـن الجهـات المتبقية .. كل واحد منهم يرتدى زيًا أشبه بـالدروع الآلية وأسلحتهم

عبارة عن مدافع متوسطة الحجم تطلق الرصاص واللهب والقنابل الموجهة .. وواحد من الاثنين اللذين يقفان عند المدخل اسمه (مارك) وهو يفكر الآن فى الانتهاء من هذا كله بسرعة ؛ ليعود إلى فتاته التى تركها على مضض ..

كيف أعرف هذا كله ؟ لا أعرف .. عقلى يعرف لكنى لا أفهم ..

كأنما تلك الطاقة التى تفجرت فى أعماقى تمنحنى القدرة على أن أجوب عقول الجميع وأرى ما يرونه ..

ووفقًا لما أراه الآن لا توجد ثغرة فى نظام التسليح الألمانى تمكننا من صرع هؤلاء الرجال ، فدروعهم مضادة للرصاصات وكم الأسلحة التى يحملونها تكفى لإبادة المكان فى دقائق معدودة ، تمامًا كما حدث مع السفارات .. بل إن رجلاً واحدًا منهم يكفى لإبادة سفارة ، فما بالك بالخمسة ؟

وهذا لا يعنى إلا أنه علينا الهرب .. لكن كيف ؟

لكن (فرانسوا) أخرج جهازًا من جيبه ، وهو يهتف :

ـ توقعت هذا ..

ثم ضغط على أحد أزرار الجهاز ، مردفًا :

ـ واستعددت له ..

وفى لحظة واحدة دوت أربعة انفجارات أطاحت بجدران المنزل وبرجال (فرانسوا) وثلاثة من رجال المنظمة ، فصرخت (بريدجيت) فى هلع :

ـ سينهار المنزل علينا ..

لكن (فرانسوا) ضغط على زر آخر فى جهازه ، لتنفتح كوة فى أرضية الغرفة ، فزحف إليها صائحًا :

ـ بسرعة .. هنا ..

فتبعناه على الفور وقد تصاعد فى الأعلى دوى الرصاصات والانفجارات ، قبل أن ينهار المنزل تمامًا ، بينما وقفنا نحن ملتصقين فى تلك الغرفة المظلمة أسفل الأرض ، ليقول (أنور) فى غضب :

ـ لقد تخليت عن رجالك كلهم ..

ـ إما هم أو فرنسا .. إننا الأمل الوحيد لإيقاف المنظمة ..

ـ لكن ..

ـ اتبعونى فلا وقت لهذه السخافات ..

قالها وهو يشعل مصباحًا يدويًا ، رأيت على ضوئه ذلك البـاب فى نهاية الغرفة التى نقف فيها ، والذى فتحه (فرانسوا) ليقودنا إلى ممر مظلم طويل ..

كانت (بريدجيت) تمسك بذراع (أنــور) بقوة ، بينمـا تحاشـيت أنا الاقتراب من (فرانسوا) وفى الأعلى خفتت الضوضاء أخيرًا ، لكن (فرانسوا) قال :

ـ لقد ظنوا أننا هلكنا .. وهذا فى صالحنا ..

فسأله (أنور) :

ـ كيف عرفوا موقعنا ؟

ـ لابد أنهم تتبعوا رجالى الذين أرسلتهم لفحص السفارات ..

ـ والآن لم يعد لديك رجال ؟

ـ لا .. لم يعد هناك سوانا ..

فى تلك اللحظـة شعرت أنـا بهـم .. برجـال المنظمـة .. علــى الفور صحت :

ـ إنهم هنا ..

فتوقف الكل وأخذوا ينظرون لى ذاهلين ، فى اللحظة التى تصـاعد فيها صوت من نهاية الممر المظلمة ، يقول :

ـ إنه محق .. نحن هنا ..

ثم بدأ الهجوم ..

* * *

أقف فى تلك القاعة وجسدى كله متحفز للقتال ، وأمامى يقـف سبعة من المقاتلين الأشداء ، ومن ورائى يقـف الدكتور (مجدى) ممسكًا بساعة إيقاف ، ليصيح وهو يضغط زرها :

ـ اهجم .. الآن ..

فأهجم و يهجم المقاتلون ولا أشعر إلا وكأننى أطير .. لكمـاتى تطيح بالكل ، وركلاتى لا تصيب أحدًا إلا و تفقده الوعى ، وضرباتهم تصيب جسدى فلا أشعر بأى ألم ..

إننى مقاتل خاص .. هذا ما تعلمته هنا وهذا ما أصبحته ..

ولا يستغرق منى الأمر سوى دقيقة وسبع وأربعين ثانية ، قبل أن يسقط المقاتلون السبع أرضًا فاقدى الوعى ، بينمـا وقفت أنـا ألهث والدماء تسيل من ركن فمى ..

وبغضب هائل صرخ الدكتور (مجدى) :

ـ خطأ .. خطأ .. سمحت لهم أن يصيبوك .. مـرة أخرى ، وهذه المرة لن أسمح لك سوى بأربعين ثانية ..

فيدخل القاعة مقاتلون جدد .. وأستعد ..

أنا مقاتل خاص ذو قدرات لا محدودة .. هذا ما أدركه ..

وهذا ما أتذكره الآن ..

* * *

فى لحظة واحدة وفى الممر المظلم بدأ الهجوم ..

كان رجـلا المنظمة الباقيان بنظـام التسليح الألمـانى يدكان مـا بقى من المنــزل فى الأعلى ، فى حيـن كـان هناك عشرة رجال أمامنـا فى نهاية الممر مسلحين بالمدافع ، وبأمر واحد بسيط ..

التخلص من الجميع ..

(فرانسوا) لا يصلح للقتال وكذلك (بريدجيت) .. أمـا السيد (أنور) فعلى الرغم من الضمادات التى تغطى جسده والتى تشـى بإصابات قريبة ، فقد هجم على الفور وهو يجذب إبرة مسدسـه ، فى اللحظة التى سدد فيها رجال المنظمة مدافعهم و ... و ...

وتحركت أنا ..

وفى عقلى ضغط الدكتور (مجدى) على زر ساعة الإيقاف ..

أطلـق السيد (أنـور) رصـاصـتين أطـاحت برجلين مـن رجـال المنظمـة ، وقبـل أن تجاوبـه رصاصـاتهم كنـت أنـا وسـطهم أنفـذ الشىء الوحيد الذى أتقنه ..

أقتلهم !

بسرعة انتزعـت مدفعًا مـن يـد أحدهـم وهويت به على عنقـه لأهشمها ، ثم قفزت وأنا أطيح برجلين آخرين برصاصات مدفعى ، قبـل أن أهوى بمدفعى وبكل قوتى على صدر آخـر لأهشـم ضلوعه .. وفى عقلى صرخ (مجدى) :

ـ لا تدعهم يصيبونك ..

لذا ألقيت بنفسى على الأرض حين أطلق الرجال الأربعة البـاقون رصاصاتهم ، واستغل (أنــور) الفرصة لينسـف ركبة واحد منهم برصاصاته ، ليهوى على سـاقه السليمة أمامى ، فأمسك برأسـه ودرت بجسدى فى الهواء لأطيح برجلين من الثلاثـة الواقفين وعنـق من أمسكه يتهشم بدوى مسموع ..

ويصرخ (مجدى) فى رأسى :

ـ تسع وثلاثون ثانية ..

لذا انحنيت بسرعة لألتقط أحد المدافع لأقضى على من تبقى واقفًا ، ليعود الصمت والظلام هذا الممر .. وفى عقلى يبتسم (مجدى) فى رضا ، ليقول :

ـ أحسنت ..

التفت لأجد ثلاثة أزواج من الأعيـن الذاهلـة ترمقنـى ، قبل أن يقول (فرانسوا) :

ـ أخيرًا أصبحت ذا فائدة .. والآن لنسرع ..

يقولها ثم يقودنا إلى نهاية الممر ، حيث قادنا سلم معدنى إلى نقطة تبعد عن المنزل ، الذى تحـول إلـى أطـلال ، و حيث وجدنـا سيارة ضخمة تنتظرنا ومعدة للانطلاق ، فألقينـا بأجسـادنا فيهـا ، قبل أن يقودها (فرانسوا) مبتعدًا ، وهو يقول :

ـ نجونا ..

فيجيبه (أنور) ، وهو ينظر لى بحذر :

ـ نعم نجونا ، لكننا خسرنا كل شىء فى المقابل .. لم يتبق سوى ..

فأقاطعه أنا وقد عاد إلىّ جزء مجهول من رأسى :

ـ لقد تذكرت الآن .. أنا أعرف أين هـو مقر المنظمـة السرى .. أعرف تمامًا ..

* * *

وفى هذا الوقت كان (باتريك) يتلقى بعض الأخبـار السيئة .. لقد نجونا من محاولة الاغتيال وهذا قد يفسد بعضًا من مخططاته القادمة ، كما أنه خسر ثلاثة من رجاله المسلحين بنظام التسليح الألمانى ..

إنه الآن فى سيارة يقودها أحد رجـال المنظمـة ، ينطلـق إلـى مكان مجهول لنا فى الوقت الحالى ، لكنه لا يزال كما هو ..

طويل القامـة بصورة غـير طبيعيـة ، ونحيـل بصـورة غـير طبيعية ، وتطـل مـن عينيـه قسـوة غير طبيعية ، وهذه المرة لم يكن يبتسم ..

أنهى اتصاله ثم استرخى فى مقعده يفكر فى عمق .. إنه يريد التخلص منا بأى ثمن ، فالمرحلة القادمة لا تحتمـل وجودنـا بـأى صورة من الصور ، وليفعل هذا فى ظل الظروف الحالية يجب أن يلجأ إلى فكرة عبقرية مبتكرة ..

فكرة تجنبه المواجهات المباشرة فى وقت انتشرت فيه قوات الجيش الفرنحية فى طرقات فرنسا ، محاولين السيطرة على حالة الفوضى الرهيبة التى سببها ، وتمنعه فى ذات الوقت من تشتيت رجاله وقواه ..

فكرة تثبت أنه كان جديرًا باختيار الدكتور (مجدى) ..

والواقع أن الأمر لم يستغرق من (باتريك) أكثر من دقائق عشر كان قد وجد فكرتها فيها وبلورها وبات على استعداد لتنفيذها ..

فكرة عبقرية بحق ..

وببطء عادت الابتسامة إلى ركن شفتى (باتريك) .. تلك الابتسامة التى تنبئ بكارثة قادمة لا محالة ..

* * *

6- فرصة العمر ..

كنّا الآن فى السفارة المصرية ، وكان السيد (أنور) يجلس مع السفير - الذى يبدو أنه يعرفنى جيدًا وإن كنت لا أذكره - يشرح له ما حدث حتى الآن ، ليقول السفير فى النهاية :

- إذن فانتصارات المنظمة تتوالى فى سرعة ، ونحن عاجزون تمامًا عن التعامل معهم ..

- بالطبع لا .. لكن التطورات الأخيرة لم تكن متوقعة على الإطلاق ..

- أيعنى هذا أنك تملك طرف خيط لتتبعه ؟

سأل السفير ، فأشار إلى السيد (أنور) قائلاً :

- نعم .. إنه يعرف مقر المنظمة السرى ..

- يعرفه ولا يعرف نفسه ؟!

- إنها حالة انفصام ، أرجو أن تكون مؤقتة .. لكنى أصارحك إنه الآن أكثر فائدة ..

ضايقتنى هذه الجملة وأنا أشعر بحيرة بالغة من طبيعة موقفى بينما الكل يتعامل معى كأداة لحل مشاكل لا أفهم منها شيئًا ..

كل ما أذكره الآن هو تلك الفترة التى قضيتها في مقر المنظمـة السرى مع الدكتور (مجدى) الذى صنع منى قاتلاً محترفًا تفوق قدراته أى حدود .. ثم لا ذاكـرة على الإطـلاق حتى النقطة التـى عرفت فيها أننى (هايد) وأننى مع هؤلاء السادة الذين يحـاربون المنظمة التى صنعتنى ..

وقال السيد (أنور) :

ـ (فرانسوا) الآن لم يعد بقوته بعد أن فقـد كل رجاله . لكن خبرته واتصالاته لا تزالان وسيلة جيـدة لفتح بعض الأبواب المغلقـة ، أمّا (بريدجيت) فلا أظن أن حالتها ستسمح لها بالمواصلة ؛ لـذا أرجو أن تعمل على إرسالها للقاهرة ..

غمغم السفير بقلق :

ـ لن يكون هذا سهلاً ، فهى عميلة خائنـة بالنسبة للمخـابرات الفرنسية ، وهم لن يسمحوا لها بالهرب ..

ـ لكنك تعرف حقيقتها ولن تتركها تسقط فى أيديهم ..

ـ أعرف .. وأعرف علاقتك الخاصة بها ؛ لذا أعدك أننـى سأفعل ما فى وسعى ..

هنا بدا نوع من الارتياح على وجه السيد (أنور) ، و قال :

ـ هذا يعنى أنه علينا أن نتحرك ، فلا وقت لنضيعه ..

فسأله السفير :

ـ أتظن أن المنظمة ستوجه ضربة لنا ؟

لا أعتقد .. لقد خسرت حتـى الآن شـفرات التحكم البريطانيـة وجزءًا مهمًّا من نظام التسليح الألمانى ، وهذا لا يترك لهم سوى العقار الأمريكى الذى يمنح متعاطيه قدرات خاصة ..

ـ خاصة إلى أى حد ؟

ـ معلوماتى أنها تقتل الشعور بالألم تمامًا و تزيد من القـدرات الجسدية ثلاث مرات على الأقـل ، وهذا يعنى أنـه لو منحهـا إلى فرقـة مدربـة سيمكنه تنفيذ أى عمليـة مهمـا كـانت صعوبتهـا .. وهذا ما يعد له هو الآن دون شك ..

قالها ثم أشار لى :

ـ وفى هذه الحالة لن تكفى حتى قدراته للتغلب عليهم ..

مرة أخرى ضايقتنى جملته ، لكننى لم أرد .. لكنه وجّه حديثـه إلىّ قائلاً :

ـ أأنت مستعد ؟

فهززت رأسى أن نعم .. فتحرك هو بنشاط ، قائلاً :

ـ ستقودنا إلى المقر السرى إذن .. لقد حانت لحظة الهجوم ..

وبعد خمس دقائق كنت أجلس إلى جـواره فى إحدى سـيارات السفارة ، والكونت (فرانسوا) فى المقعد الخلفى يحاول السيطرة على انفعالاته ..

إنها لحظة المواجهة ..

وليكن ما يكون ..

* * *

أمّا (أنطون) فكان قد تجاوز مرحلة الصدمة إلى مرحلة اتخاذ القرارات ..

إنه الآن يعرف أكثر من اللازم ، وهذا يعنى فـى ظل الظروف الحالية أنه مستهدف ؛ لـذا فأفضل ما يفعله الآن هو أن يبتعد .. أن يختفى ..

على الأقل حتى يستعد للخطوة القادمة ..

لذا حين أرسل مدير المخابرات لاستدعائه ، فوجئ بقـائد فرق الأمن يجيب :

ـ لقد غادر منذ دقائق ..

ـ ماذا ؟؟ كيف يغادر فى هذه الظروف ؟!

ـ لا أعرف .. ليس من صلاحياتى أن أسأله عن تصرفاته ..

فشبك مدير المخابرات أصابعه أمام وجهـه ، وصمت للحظـات سيطر فيها على غضبه بالكاد ، قبل أن يسأل :

ـ هل عرفتم ما الذى اختفى من المبنى ؟

ألقى بسؤاله ليشعر بالعار .. إرهابى يدخل مبناهم الحصين ليسرق شيئًا ما ويختفـى ، ليتركهم يبحثون وراءه كمجموعة من الحمقـى الفاشلين ..

وأيًّا كان هذا الشىء فمجرد اختفائه يعنى أنها كارثة ، فكل شـىء هنا يحمل ختم (سرى للغاية) ، وتحدى (باتريك) لهـم يعنـى أن ما حصل عليه أسوأ من ألعن كوابيسهم ..

إنه لم يكتف بنسخ أو تصوير ما حصل عليـه ، بل سرقه ليتركهم يعرفـون .. وبالتفكير المنطقى يعنى هـذا أنـه يريدهم أن يعرفـوا خطوته القادمة كنوع من التحدى ، أو ليقودهم إلى فخ ..

لكن .. لا .. ليس هذا وقت الاستنتاجات .. ليعرف ما الذى اختـ ...

« سيدى .. لقد عرفنا ما حصل عليه ذلك البريطانى .. »

قالها أحد رجال المخابرات وهو يقتحم الغرفة والذعر يطل مـن صوته وعينيه ، فهبّ المدير واقفًا على الفور ..

ثم تلقى أكبر صدمة فى حياته كلها ..

* * *

« هذا هو مقرنا السرى .. أنت لن تخبر بـه أحدًا مهمـا كـان السبب .. هل تفهم ؟ مهما كان السبب .. »

يقولها (مجدى) فى رأسى بصرامة لا تقبل الجدل ، لكنى اليـوم قادر على تجاهله .. قادر على عصيان أوامره ..

إننى لم أعد مقاتله الخارق .. لقد أصبحت شيئًا آخر ..

شيئًا بلا هوية ولا ذاكرة ولا أمل ولا هدف ..

فقط رغبة عارمة بالانتقام من كل شخص وكل شىء .. وهـذه الطاقة موجهة الآن ضد السـبب فيمـا وصلت لـه .. ضد منظمـة الفوضى ..

« أتعرف يا (سامى) ؟ على الرغم من أننـا أصدقـاء إلا أننـى كنت دومًا أحسدك .. »

يقولها (مجدى) من قلب ذكرياتى ، بصوت مبحـوح يحمـل ألـف إحساس وإحساس .. ويواصل :

« على الرغم من أننى كنت أفوقك دومًا فى كل شىء ، إلا إنـك كنت .. كنت .. »

(سامى) ؟ هل اسمى هو (سامى) ؟!

« إلا أنك كنت .. »

ـ وصلنا ..

قالها السيد (أنور) أخيرًا لأعود إلى عالم الواقـع ، ولأجد أمـامى آخر موقع فى باريس قد يصلح كمقر سرى لمنظمة الفوضى ..

صحيح أننى من وصفت لهم الطريق ، لكن ..

من كـان يظـن أن المقر السرى للمنظمة سيكون فى مواجهـة وزارة الداخلية الفرنسية ؟

* * *

أما السفير المصرى فكان يفكر فى الوضع كله من منظور آخر ..

كان يعيد كل الحسابات فى ذهنه وصورة لشخص ما تمـلأ تفكيره تمامًا على نحو أعجزه عن التفكير فى أى حل آخر ..

لكنه لن يتسرع الآن باتخاذ القرار ، لأن أى ..

« أتظنهم سيعودون ؟ »

قاطعت (بريدجيت) أفكاره ، وهى تجلس أمامه وشرود الدنيـا يطل من وجهها كأنها كانت تحدث نفسها لا تحدثه .. لكنه أجاب :

ـ لا .. سيواصلون مهمتهم حتى النهاية و ...

ـ لم أقصد هذا .. أقصد .. هل سيبقون على قيد الحياة ؟

ـ لو أنك تنتظرين منى إجابة هذا السؤال فأنت ..

قاطعته مرة أخرى بعصبية هذه المرة :

ـ إنهم لن يعودوا .. هذه المنظمة يقودها مجنـون .. مـا فعلـه حتى الآن وما تسبب فيه يؤكد أن القادم أسوأ ، وأن فرصة نجـاة أى أحد من هذه المهمة هى .. هى ..

عجزت عن إكمال جملتها ، فهبّ السفير واقفًا ومنحها ظهره لينظر من النافذة إلى ليل باريس الحزين ..

يااااه .. ما رأته شوارعك يا باريس فى الأيام القليلة الماضيـة لم تر له مثيلاً ..

حتى فى الحرب العالمية الثانية كـان لكل شـىء سبب مفهوم وبداية واضحة ونهاية متوقعة ولو تقريبًا .. أما الآن ..

ففرصة نجاة أى أحد مما هو قادم هى .. هى ..

وفى تلك الشاشة فى المبنى المواجه للسفارة ، بدت علامـات التفكير على وجه السفير واضحة ، قبل أن يتحرك الرجـلان الوحيدان فى المبنى من أمام شاشة المراقبة ويبدأان فى تجهـيز أسلحتهما الخارقة ..

ـ هل أنت مستعد ؟

يقولها الأول للثانى ، الذى يجيب :

ـ بالطبع ..

إن نظام التسليح الألمانى هذا عبقرى ، فعلى الرغـم مـن قوتـه التدميريـة الهائلـة ، يظل وزنـه خفيفًـا للدرجـة الكافيـة للمنـاورة والتنفيذ والهرب قبل أن يتدخل أحد .. وهما جرّبـا إمكانيـات هـذا النظام حين نسفا مع رفاقهما السفارات من قبل ..

أمّا الآن فالهدف الذى سيواجهانه أسهل بكثير .. وأخطر بمراحل ..

* * *

كنت أذكر شفرة الدخول السرية ، لكن السيد (أنور) بدا عليـه القلق .. وجهة نظره أن عدم تغيير الشـفرة حتـى الآن يعنـى إمـا أن المسئول عنهـا أحمق أو أن هـذا فخ .. لكننـا دخلنـا علـى أيـة حالة ، فلم نكن ننوى الوصول لهذه النقطة ثم نتراجع ..

المقر من الخارج يحمل اسم وشعار أحد مصانع العطور الشـهيرة ، وفى الداخل ستجد كل ما يؤكد هذه الأكذوبة حتى تصل إلى ذلك السلم الذى يقـود إلى القبـو حيث باب القـاعة الرئيسية ، وحيث شـفرة الدخول التى احتفظ بها عقلى طيلة هذه الفترة ..

ثم دخلنا مقر المنظمة السرى ..

« هنا ستتلقى تدريباتك .. وهنا ستصبح واحدًا منا يطيـع الأوامـر بلا نقاش .. »

يقولها (مجدى) فأخطو أولى خطواتى إلى الداخل .. ومن خلفـى السيد (أنـور) الـذى عقد الذهول لسانه ، والكونت (فرانسوا) الـذى صاح فى انفعال :

ـ الوغد ..

فأمامنا وفى القاعة التى أخليت محتوياتها تمامًا ، تجمـع أكثر من ثلاثين مسلحًا مـن خـيرة مجرمـى فرنسـا وقـد اجتمعوا علـى هدف واحد ..

« نهايتكم أيها السادة .. »

ارتفع صوت (باتريك) بالعبـارة فـانزاح بعض الرجـال أمامنـا ليكشفوا لنا عن شاشة صغيرة ظهر عليها وجـه رئيس منظمـة الفوضى ، الذى ابتسم قائلاً :

ـ ما ترونه أمامكم هذه المرة هـو آخر تحد لكم .. مجموعـة منتقاة ممن هربوا من سجون فرنسـا بمساعدتى ، مسلحين من رءوسهم وحتى أخمـص أقدامهـم ، ويحملـون كلهـم هدفًـا واحـدًا رصدت مكافأته عشرين مليون يورو .. حياتكم ..

وليزيد الطين بلة ، أردف :

ـ وخمسة ملايين يورو إضافية لمن يأتينى برأس الشاب ..

وفى رأسى يتوعدنى (مجدى) :

ـ يجب أن تعرف أن ثمن خيانتنا هو الموت .. الموت وحده ..

* * *

7ـ ما الذى يحدث ؟!

« كيف تريدون أن يبدأ حفل الانتحار الجماعى ؟ .. »

قالها السيد (أنور) فجأة ، فالتفت له أنا والكونت (فرانسـوا) ومجرمو فرنسا الهاربون ، ليفتح هو معطفه ولنرى جميعًا حـزام المتفجرات الذى يرتديه حول وسطه .. وبصرامة أردف هو :

ـ رصاصة واحـدة وسيتحول كل مـن فـى المكـان إلـى أشـلاء متناثرة لن تكفى ملايين الدنيا كلها لجمعها مرة أخرى ..

ودون أن أفهم ابتسم (فرانسوا) فى طمأنينة للحظة ، قبل أن يواجه كتيبة الإعدام التى أصابها التوتر والتردد ، ليقول :

ـ سنتراجع فى هدوء ونغادر المكان ..

لكن (باتريك) فى الشاشة صاح :

ـ لا تدعوهم يخـ ...

ثم أخرسته رصاصة سريعة من مسـدس (فرانسـوا) ، نسـفت الشاشة ودفعت الجميع إلى تسديد مسدساتهم تجاهـه فـى توتـر ، ليقول (أنور) :

ـ موقفى لن يتغير فى حالة إصابة أى شخص فينا ..

فعاد المجرمون يتبادلون النظرات فى قلق متردد .. إنهم لم يهربوا من السجن لينسفوا أنفسهم فى قاعة مغلقة ، وعشـرون المليون يورو لا يمكن إنفاقهم فى الجحيم .. لكن أحدهم صاح غاضبًا :

ـ باقى الرجال فى الخارج ..

ـ إنها مشكلتنا إذن .. والآن .. سنضطر لترككم أيها السادة ..

ثم بـدأ (أنـور) و(فرانسـوا) فـى الـتراجع ببـطء حـذر إلـى المدخل ، وهما يشيران لى بالتراجع ، لكنى كرهت أن نصل إلـى هنا دون أن نحظى بشىء ، فقال (أنور) بالعربية :

ـ لم يعد هناك شىء هنا يستحق ..

فهمت ما قاله لدهشتى ، بل وأجبته بذات اللغة :

ـ لكن ..

ـ لم يتركوا لنا سوى فخ علينا أن نهرب منه وإلا سينتهى كـل شىء هنا والآن ..

فلم أعارض بل أخذت أتراجع معهما إلى المدخل ، لنخرج من القاعة وأكثر من خمسين مسدسًا مسددين إلى رءوسنا .. ثم وقف (أنـور) عند الباب لحظة ليقول :

ـ سنغلق الباب خلفنا وسنقف لفترة غير محدودة لنطلق النـار على رأس أول من يحاول الخروج .. شكرًا لتعاونكم أيها السادة ..

ثم تراجع هو الآخر وأغلق الباب خلفه ..

ومبتسمًا قال الكونت :

ـ لطيفة هى خدعة حزام المتفجرات .. أنا أعرف أنه غير حقيقى ..

فأجابه (أنور) متجاهلاً دهشتى :

ـ لم أكن لآتى مقر المنظمة السرى دون أن أستعد بخدعة أو اثنتين ..

ـ لكننا خسرنا طرف الخيط مرة أخرى ..

ـ وكسبنا حياتنا لنواصل .. هيا بنا ..

كنا نقف أسفل السلم الذى يقود إلى باب القاعة حين سمعنا صوت الارتطام المعدنى ، ليتدحرج شىء ما على درجات السلم قبل أن يستقر أسفل أقدامنا .. وفى لحظة واحدة أدرك ثلاثتنا طبيعة هذا الشىء ، ليصرخ (فرانسوا) :

ـ قنبلة !

قالها فاندفعنا نصعد الدرج على الفور ليدوى الانفجار من ورائنا هائلاً رهيبًا ، طارت معه أجسادنا لنسقط أخيرًا فى قلب مصنع العطور الوهمى ..

ووسط باقى فريق الاغتيال الذى تجمع حولنا فى لحظات ..

والأجمل من هذا كله أننى سقطت على رأسى ، فكان آخر ما سمعته هو الرصاصات التى انطلقت من كل مكان ، قبل أن أفقد وعيى ..

وقبل أن يظلم كل شىء ..

* * *

أما سفيرنا المصرى فكان الآن يدخل غرفة (بريدجيت) فى سفارتنا المصرية ، وهو يردد :

ـ يا للهول .. يا للهول ..

الأمر الذى قد يعطيك فكرة عن كم التفاؤل الذى يحمله سفيرنا فى أعماقه ..

لكن المشهد أمامه لم يكن يبعث على التفاؤل تمامًا .. فأمامه كانت غرفة (بريدجيت) شبه منسوفة وقد تحطمت أرضيتها ، لينظر عبرها السفير إلى الطابق الأرضى حيث تكومت جثث رجال الأمن وبعض العاملين فى السفارة ..

أمّا (بريدجيت) ذاتها فلم تكن هناك !

وتطوع أحد رجال الأمن الذين تبقوا على قيد الحياة بالشرح :

ـ الهجوم لم يستغرق سوى دقيقة واحدة .. رجلان لكنهما كانا مسلحين بأسلحة عجيبة أطاحا بكل من فى طريقهما حتـى حصلا على (بريدجيت) ، ليحملاها وليخرجا على الفور ..

وهو ملخص لا يعبّر عن المأساة التى حدثت .. ربما لو رأيت كم الضحايا الذين دفعوا حياتهم فى هذه (الدقيقة الواحدة) لفهمت .. ربما لو عرفت أن المنظمة كانت قادرة على استدراج (بريدجيت) إلى الخارج لتختطفها فى سهولة ، لكنها فضلت إثارة كل هذه الفوضى ـ كالعادة ـ لأدركت ما يحدث بالضبط ..

كل هذا ولا يواجه هذه المنظمة سوى رجل مخابرات مصاب وكونت فرنسى فقد كل رجاله وشاب لا يعرف حتى من هو !

الآن على السفير اتخاذ قراره الذى سيغير كل شىء ..

الآن يغمغم شاردًا وهو ينظر إلى ضحايا المذبحة التى حدثت :

ـ لم يعد أمامنا سواه .. يجب أن أطلب استدعاءه هنا ..

* * *

و(باتريك) كان الآن يقف مع كل رجال المنظمة ، الذين حمل كل واحد منهم كمًّا من الأسلحة يكفى لتنفيذ انقلاب عسكرى متقن ، ومحقنًا يحوى سائلاً أصفر كثيف القوام ..

أين يقفون ؟ ستعرف هذا بعد قليل .. المهم الآن ما يقوله (باتريك) لرجاله :

ـ اليوم هو يوم حلم المنظمة يا رجال .. اليوم الذى عملنا لأجله طويلاً .. كل التدريبات وكل المعاناة وكل التجهيزات وكل ما حدث ويحدث وسيحدث كان من أجل هذا اليوم .. الدكتور (مجدى) وأنا من بعده حلمنا بهذا اليوم ، وها هو حلمنا على أعتاب أن يصير واقعًا سيشهده العالم كله .. بعد دقائق سننطلق إلى الهدف ، وسيفرغ كل واحد منكم المحقن الذى يحمله فى عروقه ليحصل على قوة لم يملكها بشرى ، لكن هذا لا يعنى أن مهمتنا ستكون سهلة .. نصفنا على الأقل سيسقطون ضحايا هذا اليوم ، لكن تضحيتهم لن تضيع هباءً لو التزمتم بما سأخبركم به حرفيًّا .. والآن .. احقنوا أنفسكم ..

فلم يتردد أحد ولو للحظة ، ثم ألقوا المحاقن الفارغة أرضًا ، فابتسم (باتريك) فى رضا ، ليقول :

ـ اليوم .. ننشر الفوضى ..

* * *

أما أنا فاستيقظت فجأة لأجد ذراعى تنزف فى غزارة ولأجدنى فى سيارة يقودها (أنطون) يحاول المراوغة بها من مجموعة سيارات أخذت تطاردنا فى إلحاح وركابها يطلقون علينا الرصاصات ، قد جلس السيد (أنور) جوارى يحاول الرد على سيل الرصاصات المنهمر علينا عبر الزجاج الخلفى الذى لم يعد هناك ، قبل أن تنفد رصاصات مسدسه ليلقى بجسده جوارى حانقًا ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

آخر ما أذكره هو أننى كنت أجلس أمام (لارا) فى مقر (فرانسوا) أحاول الاسترخاء بقدر الإمكان ، قبل أن تنومنى هى مغناطيسيًا ، وهأنا أستيقظ لأجد (أنطون) يصرخ :

ـ اللعنة .. إننا نفقد الوقود ..

فيجيبه (أنور) صارخًا :

ـ لو توقفنا سيمزقوننا إربًا ..

ـ يبدو أن هذا ما سيحدث بكل أسف ..

فأسأل أنا بقمة ذهولى :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟ أين نحن ؟

فيلتفت لى (أنور) ، و يقول بحذر :

ـ من أنت ؟

ـ أنا (سامى) .. !

ـ إذن فلقد عدت ..

ـ عدت من أين ؟!!

لكن السيد (أنور) انهمك فى حشو مسدسه بالرصاصات ، وهو يقول :

ـ لا وقت للشرح .. لنقل إنك غبت عن الوعى وعدت إلينا ..

فى تلك اللحظة اقتربت سيارات مطاردينا فجأة ، فدار (أنطون) بالسيارة فى مناورة تستحق الإعجاب ، وانطلق فى الاتجاه العكسى ، وهو يصيح :

ـ دقيقة على الأكثر وسنفقد الوقود .. سنضطر لمواجهتهم ..

فسأله السيد (أنور) على الفور :

ـ كم رصاصة معك ؟

ـ لا توجد رصاصات .. لقد نفدت أسلحتى ..

فيتراجع السيد (أنور) فى مقعده ، ويقول فى استسلام :

ـ إذن .. نحن هالكون لا محالة ..

لكن ..

دعنا نعد إلى الوراء قليلاً ، لنفهم الموقف أكثر ..

نعم .. إلى اللحظة التى فقدت وعيى فيها فى قلب المصنع وسط النيران المنهمرة علينا من كل صوب ..

* * *

ما إن سقطت على الأرض فاقد الوعى ، حتى انطلقت عشرات الرصاصات فى المكان ، لتطيح بدائرة المجرمين التى أحاطت بنا ، والذين فوجئوا بهذا الهجوم المباغت ، فالتفتوا إلى مصدر الرصاصات ليجيبوا التحية بأفضل منها ..

وعلى الفور توارى (أنطون) ـ الذى لولا ظهوره المفاجئ لتحولنا إلى جثث غير واضحة المعالم ـ خلف أحد الحواجز المعدنية ، وهو يصيح :

ـ تحركوا ..

قالها فحملنى السيد (أنور) على كتفه بسرعة لتأن جراحه القديمة ، وأسرع هو والكونت (فرانسوا) خلف أحد الحواجز ، وأخرجا مسدساتهما ليمدا يد العون لـ (أنطون) ..

وبأعلى صوته صاح (فرانسوا) :

ـ إنهم يتزايدون ..

وهى ملاحظة دقيقة .. فصحيح أن عشرين رجلاً سقطوا على الأقل حتى الآن ، لكن من كانوا فى القاعة خرجوا بكل غضبهم ورغبتهم فى الانتقام ، ثم توافد إلى المكان كل مجرم فى المدينة عرف أن هناك مكافأة على رءوسنا ..

ومن يطلقون الرصاصات ـ حتى الآن ـ تجاوزوا تسعين رجلاً ، فى مواجهة ثلاثة وأنا فاقد الوعى لأمثل عبئًا إضافيًا فى موقف لا يحتمل أعباء ..

نصيحة مجانية .. لا تفقد الوعى فى مثل هذه المواقف ! حاول قدر الإمكان !

فى مثل هذه المواقف يكون السؤال الحقيقى هو .. كيف نهرب من هنا ؟

إن هذا يستلزم الوصول للسيارة التى هى على بعد سبعين قاتلاً من هنا ، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا ..

ـ حين أصيح (الآن) .. احمل رفيقك واهربا من هنا فورًا .. ولا تنظر إلى الوراء مهما كان السبب ..

قالها (فرانسوا) فجأة للسيد (أنور) الذى تساءل فى دهشة :

- لكن كيف ســ ؟؟!

ولم يجد الفرصة ليكمل سؤاله ، إذ قفز (فرانسوا) فجأة من خلف الحاجز المعدنى الذى يحتمى به ، ليطلق النار على إحدى حاويات الكحول الضخمة التى لم تكن فى مجال تسديده ، فى اللحظة التى اخترقت فيها عشرات الرصاصات جسده وهو يصرخ :

ـ الاااااااااااااا ..

ثم ذابت صرخته مع دوى الانفجار الهائل ، والنيران تملأ المكان فى لحظة كموجة هادرة غاضبة لا تود أن تبقى على شىء ..

ولولا الحاجز المعدنى لتحولت أنا والسيد (أنور) إلى رماد ..

لقد فعلها الكونت العجوز .. ضحى بحياته من أجلنا ..

أو من أجل فرنسا ..

هكذا استطاع السيد (أنور) أن يحملنى على كتفه ليصل إلى سيارة (أنطون) الذى أدار المحرك فى اللحظة التى بدأ فيها من تبقى من القتلة فى استعادة صوابهم ..

وهكذا بدأت المطاردة التى عدت فيها إلى شخصيتى ، والتى توشك على الانتهاء الآن بتوقف سيارتنا ـ دون أن نملك سلاحًا لندافع به عن أنفسنا ـ وسط مطاردينا الذين لا يحملون لنا سوى أسرع طريقة للموت ..

* * *

8 ـ فى قبضة العدو ..

فى اللحظة التى أصدر فيها محرك سيارتنا زمجرة اعتراضه الأخيرة قبل أن يتوقف ، ارتفع دوى آلاف الرصاصات فى المكان ، لتحصد مطاردينا بسياراتهم التى أخذت تنفجر واحدة تلو الأخرى ، وحاول بعضهم الاستدارة والهرب ، إلا أن الرصاصات أخذت تهوى عليهم من أعلى بلا انقطاع ، فرفعنا أعيننا إلى السماء لنجد ست طائرات هليوكوبتر تابعة لوزارة الداخلية ـ التى تدخلت فى اللحظة المناسبة تمامًا ـ وكلها تحمل أمرًا واضحًا وصريحًا ..

اقتلوا ثم فكروا !

وفى لحظات ظهرت سيارات الشرطة والجيش ليطوق أكثر من مائتى ضابط وجندى المكان ، وليواصلا مهمة إفناء مطاردينا عن بكرة أبيهم ، وهى مهمة لم تستغرق منهم أكثر من ثلاث دقائق ، توقفت بعدها الرصاصات أخيرًا ، لتمتزج الأدخنة برائحة الدماء التى أغرقت المكان ، ولنجد أمامنا كتيبة كاملة تسدد أسلحتها لسيارتنا ، فخرج لهم (أنطون) على الفور وهو يشهر بطاقته ، صائحًا :

ـ أنا رجل مخابرات ..

فتقدم له جنرال عجوز شديد البرود ، ليقول :

ـ أعرف .. اسمك (أنطون) ..

ـ لقد وصلتم فى اللحظة الأخيرة .. كدنا نهلك لولا ..

ـ لولا أننا نريدكم على قيد الحياة ..

تبادلت أنا والسيد (أنور) النظرات الحائرة مع هذا الرد العجيب ، قبل أن يفسر الجنرال أخيرًا ببروده المستفز :

ـ لدينا أمر بالقبض عليكم وإحضاركم أحياء إلى مقر القيادة ..

فصاح (أنطون) ذاهلاً :

ـ ماذا ؟

لكن الجنرال أشار بيده فى هدوء ، لينقض علينا رجاله وليكبلونا بالأغلال دون أن نجرؤ حتى على مقاومتهم ، إلا أن (أنطون) أخذ يردد :

ـ لا يحق لك القبض علىّ إننى ..

فقاطعه الجنرال :

ـ خائن ..

قالها فتجمد (أنطون) لحظة فى مكانه ذاهلاً ، ثم انقض فى ثورة على الجنرال ، مزمعًا تمزيقه بيديه العاريتين ، لكن ضربة من كعب أحد المدافع هوت على رأسه لتوقفه ولتسقطه فاقد الوعى على الفور .. أما الجنرال فنظر إلىّ أنا والسيد (أنور) فى استمتاع ، ليقول :

ـ أخيرًا سقطتما فى قبضتنا .. ستدركان الآن مغبة العبث معنا أيها المصريان ..

فلم أجبه .. الموقف لم يكن يحتمل أى رد متحذلق من أى نوع ..

فقط تركتم يقتادونى إلى إحدى السيارات مع السيد (أنور) ، والجنرال المقيت يهتف من ورائنا :

ـ لن تريا ضوء الشمس ثانية .. أعدكما بهذا ..

وفى أقل من دقيقة كانت القافلة تتحرك بنا إلى حيث لا نعرف ، وكانت الكلمة الوحيدة التى نطق بها السيد (أنور) هى :

ـ خسرنا ..

وكان هذا آخر ما حدث فى هذه الليلة ..

* * *

واستيقظت (بريدجيت) فجأة ..

فى لحظة واحدة عاد إليها وعيها وذكرياتها وذلك الألم العجيب فى رسغيها وقدميها ..

آخر ما تذكره هو أنها كانت فى غرفتها ، حين نسف رجلا المنظمة المسلحان بنظام التسليح الألمانى أرضية غرفتها ، لتسقط وسط الحطام وعشرات الجثث ..

تذكر أنها حاولت الوقوف لتقاوم ، ثم تذكر تلك الصاعقة المحدودة التى انطلقت من مدفع أحدهما لتفقد الوعى على الفور .. ثم تذكر الأصوات ..

أصوات عجيبة بدت وكأنها جزء من أحلامها ، لكنها ومع الوقت بدأت تنتبه إلى أن هذه الأصوات حقيقية ، وأنها تنبع من على مسافة محدودة ، لكنها عاجزة عن رؤية مصدرها ..

الظلام يحيط بها من كل صوب ولا يمكنها أن ترى حتّى المقعد التى قيدت عليه ، بقيود معدنية قاسية عند الرسغين والقدمين ..

ومع الوقت بدأت تستوعب طبيعة الأصوات .. إنه تلفاز .. مختطفوها الآن فى الغرفة المجاورة يشاهدون التلفاز مما يعنى أنها فى شقة ، وأن من اختطفها لديه أمر للاحتفاظ بها على قيد الحياة لفترة طويلة نسبيًا .. وهذا خطأ عليهم أن يدفعوا ثمنه ..

لذا .. وبهدوء شديد أخذت تحرك أصابعها حتّى لامست ساعة يدها لتجذب منها سلكًا معدنيًا رفيعًا اعتادت تركه هناك للطوارئ ، ثم بدأت أصابعها تطوى السلك بمهارة فتاة قضت ثلث عمرها فى المخابرات ..

كل ما عليها الآن أن تعمل فى صمت وسرعة لتتخلص من قيودها ، بعدها ستبدأ محاولة الفرار و ...

« أنباء مهمة .. »

ارتفع الصوت الفرنسى من التلفاز لتتوقف ولتصغى فى انتباه :

ـ منذ دقائق معدودة تم القبض على جاسوسين مصريين يعتبرهما المسئولون على صلة وثيقة بمنظمة الفوضى التى تسببت فى كل ما شهدته فرنسا بل والعالم كله من كوارث حتى الآن .. ولأننا لا نملك تفاصيل فسوف ..

ثم أغلق مختطفوها التلفاز ليسود الصمت التام ..

الصمت الذى امتزج مع الظلام المحيط بها مع الكارثة التى سمعتها ليمنحها شعورًا عجيبًا بالهلع ..

والعجيب أنه بعد دقائق من الصمت الثقيل ، لم تنطق (بريدجيت) سوى بكلمة واحدة :

ـ خسرنا ..

* * *

دعنى أخبرك ببعض الكوارث التى تعرض لها مطار (أورلى) الفرنسى الذى يقع فى جنوب باريس ..

المطار تم بناؤه عام 1932 كملحق صغير لمطار (لى بروجيه) ، وظل كذلك حتى قصفه سلاح الطيران الأمريكى فى الحرب العالمية الثانية لينسفه تمامًا ، فلم تتبق منه سوى أنقاض محترقة ، حتى أعادوا بناءه بعد معركة نورماندى الشهيرة عام 1944 ، ليظل تابعًا

لسلاح الطيران الأمريكى حتى عام 1947 ليستعيده الفرنسيون ، وليبدءوا فى تحويله تدريجيًا من مطار عسكرى إلى مطار مدنى ..

وفى الثالث من يونيو عام 1963 ، تحطمت طائرة ركاب مدنية أثناء إقلاعها من المطار ، وكانت تحمل 132 راكبًا ، لم ينج منهم سوى اثنين ، خرجا من بقايا الطائرة بإصابات طفيفة !

وفى الثالث من أكتوبر عام 1974 سقطت طائرة ركاب تركية كانت متجهة إلى لندن ، بعد إقلاعها من المطار فى غابة (إرموننفيل) المجاورة ليبلغ عدد الضحايا هذه المرة 346 ضحية لم ينج منهم أحد ..

وفى الثالث عشر من يناير عام 1975 حاولت جماعة إرهابية يقودها الإرهابى الشهير (كارلوس) ـ الذى كان يلقب بابن آوى ـ نسف إحدى الطائرات فى المطار ، دون أن ينجحوا فى هذا .. كرروا محاولتهم مرة أخرى فى السابع عشر من ذات الشهر ، وفشلوا مرة أخرى ..

وفى الخامس عشر من يوليو 1985 قامت جماعة أمريكية سرية ـ الجماعة الأمريكية السرية المسلحة لتحرير أرمينيا ASALA ـ بتفجير مكتب استقبال تركى فى المطار ، ليسقط ثمانية من القتلى وأكثر من خمسين مصابًا ..

واليوم .. يستعد مطار (أورلى) لاستقبال كارثة جديدة أكبر وأخطر من كل ما سبق ..

فقط انظر معى إلى هذا الرجل الذى يرتدى زى مهندسى الصيانـة حاملاً حقيبـة متوسطة الحجـم ، ومتجهًا إلى سلم إحدى الطائرات التى تخضع لفحص ما قبل الانطلاق الأخير ..

إن شفرة التحكم البريطانيـة واسعة الاسـتخدام حقًـا ، حتـى ولو انكشف أمرها فما زال هناك بعض الثغرات التى لم ينتبه إليها أحد ..

تخيل مثلاً ما الذى يمكن أن تفعله هذه الشفرة مع برنـامج القـائد الآلى (Autopilot) الذى يتحكم فى الطائرات تمامًا بعد أن تصـل إلى الارتفاع الأقصى ، وحتى تقترب مرحلة الهبوط ..

تخيل ماذا لو أضفنا إليه تعديلاً بسيطًا يمنع العودة إلى التحكم اليدوى بعد أن يبدأ هو فى العمل ..

والأجمل من هذا كله .. تخيل لـو أضفنـا إليـه خاصيـة التحكم عن بعد !

الآن ما عليك سوى أن تطلق لخيالك العنان ..

وأن تتوقع الأسوأ ..

* * *

وفى الساعات التى قضيناها فى تلك الزنزانة الضيقة ، حكى لـى السيد (أنور) عن تجربة (لارا) وعن شخصيتى الثانية كمستر (هايد) وعن مصرع (فرانسوا) ، فشعرت بمرارة لا حد لها ..

والعجيب أننى لم أشعر بها لأننى سجين بتهمة التجسس والتـورط مع منظمة إرهابية ، ولا حتى لأننا خسرنا معركتنا مع المنظمـة ، بل كنت أشعر بالمرارة مما يحدث لى ..

أنا (سامى) .. ولدت بهذا الاسم وعشت به ..

كبرت ودرست والتحقت بالشرطـة وتزوجت وعانيت وحلمـت وأخطأت وندمت باسمى هذا .. ثم أتى ـ عليه ألف لعنة ـ (مجدى) ليغير لى كل هذا بتجربة تنويم مغناطيسى واحدة ..

تجربة أصبحت بعدها (أكرم) .. ثم تحولت إلى مجهول .. ثـم إلى مستر (هايد) ، ثم هأنا الآن لا هوية لـى ولا لقب ولا ذاكرة مكتملة ..

فقط أخوض صراعًا لا ينتهى مع منظمة الفوضى وكأن حيـاتى كلها أصبحت لا تحمل هدفًا سواها ، وأنا لا أعرف كيف سينتهى هذا الصراع وما سيحدث لى من بعده .. هذا إن بقيت حيًّا !

ـ لقد تورط معهم المدير .. مدير المخابرات الفرنسية أصبح يعمل مع المنظمة ..

قالها (أنطون) بسخرية حزينة ، ثم تابع :

ـ شعرت بهذا حين رأيت تسجيل كاميرات المراقبة .. الشـريط كان مزيفًا .. أحدهم عبث بمحتوياته بالكمبيوتر ، لكنهم أخطئـوا

حين استعانوا بمحتويات شريط قديم ظهرت أنا فيه وأنا أمر قرب غرفـة الاستجواب ليظهر انعكاسى على الواجهـة الزجاجيـة .. حين رأيـت هذا الانعكـاس أدركت الخدعة وأدركت أن للمنظمـة جاسوسًا فى صفوفنا على أعلى مستوى ..

وصمت للحظات مرت بطيئة قاسية ، قبل أن يردف :

ـ عندها قررت أن المخابرات لم تعد تصلح للقيادة وأن علىّ اللجوء إلى رجالى فى العالم السفلى لأستقى منهم المعلومات ، ومنهم عرفت عرض عشرين المليون يورو الموضوع على رءوسكم وأين ومتى ؟ هكذا أمكننى إنقاذكم ..

فسأله السيد (أنور) :

ـ لماذا ؟ لماذا قررت إنقاذنا ؟

ـ لأننى لم أعد أعرف بمن أثق .. الشىء الوحيد الذى أعرفه أنكم تحاربون المنظمةَ مثلى وأنها تودّ التخلص منكم ..

ـ لكنك دفعت الثمن ، واعتبروك متورطًا معنا ..

اعتدل (أنطون) بحدة ، وصاح :

ـ خطأ .. التهمة التى وجهت لى تنص على أننى أعمل معكم منذ البداية .. صنعوا صورًا وتسجيلات وتقريرات كلها حملت إمضاء مدير المخابرات وموافقته ..

ثم إنه هبّ فجأة ، وصرخ بأعلى صوته :

ـ الخاااااااائن ..

فانتظره السيد (أنور) حتى هدأ قليلاً ، وقال :

ـ ما الحل الآن ؟

عاد (أنطون) إلى مقعده ، وأجاب بيأس :

ـ لا حل .. نحن الآن فى قلب أكثر الأقسام تأمينًا فى وزارة الدفاع الفرنسية ، العالم خارج هـذه الغرفـة أصبح سرابًا لن نعرف عنه شيئًا إلا بما يسمحون لنا أن نعرف ..

فقلت أنا ببطء :

ـ لا .. مازال بإمكاننا معرفة ما يحدث فى الخارج ..

ـ كيف ؟

ـ اصمت و ستعرف ..

أقولها و أغمض عينى وأبدأ فى التركيز ..

التركيييييييييز .. !

* * *

9 ـ الضربة النووية ..

« إذن فأنت واثق أن ضربتهم القادمة ستكون هنا .. »

قالها وزير الدفاع الفرنسى ، لمدير المخابرات الذى أجاب فى اقتضاب :

ـ نعم .. واثق ..

ـ ومن أين أتتك هذه الثقة ؟

وهو سؤال من المستحيل الرد عليه بأمانة .. هل سيخبره أن زعيم منظمة الفوضى جاء إلى المقر وهرب ؟ هل سيخبره أنه جنده مرغمًا للعمل لحسابهم وإلا قتلوا ابنه الوحيد ؟

تلك أسئلة لا يستحب الرد عليها بأمانة ، لكن ..

ـ الخبراء هم من قدروا هذا .. قالوا إن ضربته القادمة يجب أن تفوق كل ما سبقها ويجب أن تسبب أكبر قدر ممكن من الدمار والفوضى ، ونحن نملك أربعة وخمسين مفاعلاً نوويًا كما تعرف .. أى أن الإغراء سيكون أصعب من أن يقاوم ..

هكذا أجاب المدير ، فبادره وزير الدفاع :

ـ ولماذا هذا المفاعل بالذات ؟

ـ لأنه الأقرب إلى باريس .. حتى الآن ضرباته تشير إلى أن مقر قيادته هناك .. وهو لا يحب الابتعاد كثيرًا عن مخبئه ..

هزّ الوزير رأسه متفهمًا هذه المرة ، ثم عاد الصمت والترقب يغلفهما ..

لنأمل أن الخبراء يجيدون عملهم ، فأى خطأ هذه المرة سيعنى كارثة نووية لم يشهد لها العالم مثيلاً ..

أمّا المدير فكان يستعيد فى ذهنه لقاءه بـ (باتريك) فى مبنى المخابرات .. كان قد ذهب إليه ليستجوبه حين ..

ـ ابنك معنا .. أمامك خيار من اثنين .. إما أن تساعدنى على الخروج من هنا أو ...

هكذا بادره (باتريك) لحظة دخوله ، فألجمت المفاجأة لسانه ، ونظر إلى كاميرا المراقبة فى الغرفة ، ليقول (باتريك) وهو يمد يده بصورة ابن المدير :

ـ لا تقلق .. لدى نسخة معدلة لتسجيلات كاميرا المراقبة والتسجيلات الصوتية ، كل ما يجب أن يقلقك الآن هو كيف ستخرجنى من هنا ..

ـ لماذا جئت أصلاً مادمت تريد الخروج على الفور ؟

ـ لأننى لن أرحل خالى الوفاض ..

بدت الصدمة على وجه المدير ، وصاح :

ـ أتظن أنه لمجرد أنك اختطفت ابنى أننى سوف .. .

ـ سوف تطيعنى بلا مناقشة وإلا أقسم أنك ستقضى ما بقى من عمرك فى جمع أشلائه من أرجاء فرنسا كلها .. ثم إن هذا ليس كل شىء .. 76876967 ت . س .. أليس هذا رقم خزانتك السرية ؟ ألا تحتوى هذه الخزانة على وثائق يكفى مجرد وجودها إلى إعدامك و ...

فقاطعه المدير هذه المرة بذهول لاحد له :

ـ كيف ؟ كيف تعرفون ؟

فاتسعت ابتسامة (باتريك) ، وهو يجيب :

ـ المعلومات يا مدير المخابرات .. المعلومات هى أقوى سلاح فى هذا العصر .. فقط حين تعرف كيف تستغلها ومتى .. والآن دعك من هذا وأصغ لى جيدًا ..

وأصغى المدير ..

أصغى ونفذ وهرب (باتريك) ومعه نسخة من ملفات خطط تأمين المفاعلات النووية الفرنسية ، مع شرح لخطط الطوارئ التى تنفذ فى حالة قيام هجوم على أحد المفاعلات ..

وهذا أغرب تصرف رآه المدير فى حياته !

لقد أعلن لهم عن ضربته القادمة بتحد سافر سيخفض من فرص نجاحه إلى الحد الأدنى .. بل ولفت الأنظار بصورة لم يُر لها مثيل من قبل .. وهى طريقة تنم على غباء شديد ..

أو عبقرية أشد ..

صحيح أن الخبراء أكدوا أنه يتحرك بطريقة فوضوية تليق بمنظمته ، لكنهم أكدوا أن ما فعله هو نوع من استعراض القوة التى يسعى لها طيلة الوقت ، وأن إغراء نسف مفاعل نووى سيفوق قدرته على التحمل .. خاصةً لو كان قرب باريس ..

و ها هو الآن مع وزير الدفاع عاجز عن شرح الموقف له كاملاً ، فقط يحمل تأكيدًا بأن هناك هجومًا وشيكًا على المفاعل ، وطلبًا بعدم الالتزام بكل خطط الأمن والطوارئ الموضوعة مسبقًا لأنها لن تصلح .. لماذا ؟

تلك أسئلة لا يستحب الرد عليها بأمانة !

ـ متى سيبدأ الهجوم ؟ ألم يتوقع خبراؤك الوقت ، ولو تقريبيًا ؟

سأل الوزير فأجاب :

ـ فى ساعات الصباح الباكر ..

ـ إنها الثامنة والنصف صباحًا الآن ، فما الذى ينتظره ؟ أخشى أن نكون قد أخطأنا فى تحديد هدفه ..

وهو احتمال قائم ..

ـ الخبراء قالوا إنه سينتقى الوقت الذى يغادر فيه الكل منـازلهم للذهاب إلى أعمالهم .. التاسعة صباحًا هو الوقت المناسب لضربـة كهذه ..

ولا يمكننا أن ننكر أن هذا هو أنسب وقت بالفعل ..

تستيقظ .. تتناول إفطارك وتبدل ملابسك ، ثم تغادر المنزل متجهًا إلى عملك و ...

بااااااااااااتج !

فجأة تسمع الصوت الرهيب وتشعر بالهزة .. ثـم يأتى الضوء الساطع من بعيد ليملأ الكون ، ومن بعده تأتى الحرارة .. حرارة كفيلـة بتحويلك إلى تمثال محترق ملتصق بالأسفلت الذائب أسفله ..

حقًا .. هذا هو الوقت الأمثل لضربة نووية ..

وهى ضربة اتخذ المدير ووزير الدفـاع كل السبل لإيقافهـا ، ولا يمكن أن تتم إلا لو ....

ارتفع رنين هاتف المدير المحمول ، فجأة فالتقطه على الفور ، وأجاب :

ـ إنه أنا ..

ثم أصغى لمحدثه لثوان تجمد فيها جسده تمامًا ، وماجت فيهـا ملامحه بذعر لا حد له .. ذعر انتقل إلى وجه الوزير تلقائيًا ، لينتظر حتى أبعد المدير هاتفه عن وجه ، ليقول بصوت بحّت نبراته :

ـ لقد ضربت المنظمة ضربتها ..

قالها ثم أرسل عينيه إلى السماء ، مردفًا :

ـ ضربتها النووية ..

* * *

ولو عدنا بالوقت عشر دقائق إلى الـوراء لوجدنـا أن (بريدجيت) انتهـت مـن حـل قيودهـا المعدنيـة أخـيرًا .. وقبـل أن تسـخر مـن كونـها فتاة مخابرات تحتاج ليلة بأكملهـا لحل قيودهـا ، اسمح لـى أن أذكرك أنها كانت تموت منذ يوم واحد فقط حين كان الفيروس يستنزف الحياة من جسدها استنزافًا ..

لذا حين انتهت (بريدجيت) من حل قيودها ، كانت تلهث علـى مقعدها والعرق البارد يسيل على وجهها ، قبل أن تتماسك أخـيرًا لتغادر مقعدها فى حذر ..

الظلام لا يزال يغلفها تمامًا ، وقد انقطعت الأصوات التى كـانت تنبعث من الغرفة المجاورة ، فأخذت تتحسس طريقها حتى بلغت باب الغرفة ، لتدير مقبضه ببطء شديد ، ولتفتحه إلى الحد الكـافى لرؤية ما يحدث فى الخارج ..

لا أحد هناك ..

أمامها الشقة خالية لا يوجد فيها أحد ولا يصدر منها أى صوت .. حتى التلفاز مغلق وفى المطفـأة أمامـه بقايا لفائـف تبـغ مضـى عليها زمن طويل ، لكن كيف ؟؟

كيف يتركها محتجزوها هكذا ؟!

ما الذى حدث و تطلب منهم تركهـا هكذا وفى الساعات الأولى من الصباح ؟؟

أو إنه فخ ؟!

لكن باب الشقة أمامها على بعد قفزتين ، ومنه ستخرج إلى الشارع حيث لن يوقفها أحد حتى تعود إلى السفارة ، وكـل مـا يتطلبـه الأمر منها هو بعض الشجاعة و ...

أدارت عينيهـا فى المكـان بحثًا عـن أى شىء يصلح كسـلاح ـ ولو مؤقتًا ـ فلم تجد .. إنها لن تحمـل التلفـاز بالطبع وتـهرب لتهوى به على رأس أول من يهاجمها ! دعك من أن حالتها الجسدية لن تسعفها فى أى مواجهة مباشرة ..

لكنهم قبضوا على السيد (أنور) ، وهذا يعنى بالنسبة لها كل شىء .. هذا يعنى أنها ستمنحهم حياتها راضية ، فقط لو ضمنـت حياته هو .. لذا فلا بأس لو ...

انفتح الباب فجأة ليظهر على عتبتـه أحد رجـال المنظمـة ، لينظر إليها فى هدوء قائلاً :

ـ تأخرنا عليك يا صغيرتى .. سامحينا ، لكننا كنا نحضر رفاقك ..

تجمدت (بريدجيت) فى مكانها ، وهى تنتظر لتعرف من هم رفاقهـا الذين يتحدث عنهم ، فانزاح رجل المنظمة جانبًا ، ليدخل خمسة رجال مكممين ومقيدين بإحكام ، قدّمهم رجل المنظمة قائلاً :

ـ اسمحى لى أن أقدم لك محركى الدمى ..

ثم دخل ثلاثة رجـال مسلحين بـدا عليهـم التوتـر حين وجدوا (بريدجيت) وقد تحررت من قيودها ، لكن الرجل الأول أشار لهم مبتسمًا ، وقال :

ـ لا بأس .. لا بأس .. لقد انتفت الحاجة لهم ولم يعد بقـاؤهم على قيد الحياة ضروريًا ..

على الرغم منها شعرت (بريدجيت) بالخوف ، و تراجعت إلى الوراء لا شعوريًا ، ليواصل رجل المنظمة باستمتاع تام :

ـ فقط لنقتل الفتاة فى النهاية .. سنحاول الاستمتاع بها أولاً ..

وهنا لم يعد أمامها خيار آخر ..

حالتها الجسدية لاتحتمل أى مواجهة .. حالتها النفسية فى الحضيض بعد أن قبضوا على السيد (أنور) .. خصومها الآن أربعـة مسلحين بالمدافع .. كل هذا لن يغنيها عن حقيقة واحدة لا مناص منها .. أنها يجب أن تهاجمهم .. والآن ..

ومهما كانت النتائج ..

* * *

وكان (باتريك) الآن يجلس مع ضيوفه يشرح لهم باستمتاع عجيب ، كيف نجح فى الوصول لهم وأسرهم على هذا النحو :

ـ الموضوع كان أسهل من المتوقع .. تشتيت انتباهكم بضربـات متتالية وإثـارة أكبـر قـدر ممكن مـن الفوضى ، ثم تركـيز أغلب قواكم فى تأمين المفاعلات النووية ، لآتى أنا ورجالى إلى هنا ..

ثم إنه أخذ يجول فى المكان بخطوات وئيدة ، مردفًا :

– بالطبع يأتى سـؤال كيـف عرفـت مكـان اجتمـاعكم السـرى وهذا هو سر قوتنا ونجاحنا حتى الآن .. المعلومات .. التفـاصيل الصغيرة التى لو جمعت بطريقة معينة لصنعت صورة كاملـة شديدة الأهمية والخطورة .. كلعبة البازل الشهيرة .. عشرات القطع الصغيرة التى تتجمع لتكون لوحة ما أو كما فى هذه الحالة ، تكشف سرًا ما ..

ثم نظر لأسيريه ، وابتسم قائلاً :

ـ لكنى لن أقتلكم .. لست هنا لهذا السبب .. ثـم إن فكرة قتـل الرئيس الفرنسى ورئيس الوزراء الإسـرائيلى غير مستحبة فـى هذه الفترة ..

ومن حوله أخـذ رجـاله يتحركون بسرعة وتنظيم ليعملوا علـى تأمين المكان تمامًا ، بينما جلس (باتريك) ووضع ساقًا على ساق ، أمام الرئيس الفرنسى ورئيس الـوزراء الإسرائيلى المقيدين بإحكام فى مقاعدهما ، ليقول :

ـ اجتماعكمـا السـرى كل عـام فـى هذا القصـر علـى أطـراف (باريس) لتبادل أحدث ما وصلتم إليه فى التسليح النووى لم يعد سرًا .. فقط كان علينا أن نعرف أين تلتقـون ومـاهى نظـم الأمـن التى تتبعونـها لتـأمين هـذه الاجتمـاعـات .. صحيـح أننـى خسـرت نصف رجالى للتخلص من رجالكم و للسيطرة على القصـر إلا أن الأمر يستحق ، ففضلاً على أن أحدًا لن يجرؤ على اقتحام المكـان لتحريركما خوفًا من أى خطأ قـد يـودى بحيـاة أحدكمـا ، إلا أننـى حصلت أيضًا على ما جئت أصلاً للحصول عليه ..

وأشار إلى حقيبة متوسطة الحجم استقرت على الطاولة أمامـه ، قائلاً :

ـ فى هذه الحقيبة أحدث ما توصل إليه خبراؤكم فى مجال التسليح النووى ، بدءًا من القنابل النووية صغيرة الحجم محدودة التأثير وحتى الأسلحة النووية المحمولة .. والآن يأتى السؤال الحقيقى ..

ثم التقط منشفة ورقية ليجفف بها عرق الرئيس الفرنسى الذى سال على جبهته ، قبل أن يردف :

ـ ماذا لو نشرت هذه التفاصيل إلى العالم كله ؟ ماذا لو أصبحت فى متناول كل من سيحسن ويسىء استخدامها ؟ ماذا لو أصبحت متوافرة على شبكة الإنترنت لأى مستخدم لأى كمبيوتر فى أى مكان فى العالم ؟ هل تعرفون ما الذى سينتج ؟؟

وهبّ واقفًا فجأة ليصيح فى انتصار :

ـ فوضى .. أكبر فوضى سيشهدها العالم .. ومهما حاولتم لتسيطروا على الأمر لن تفلحوا فلا شىء يصل إلى الإنترنت ويموت .. بل إنه يبقى وينتشر إلى أبعد من قدرتكم على التخيل .. ثم ستدور العجلة بعد ذلك .. سيأتى من يحاول التنفيذ ، ثم سيأتى من يبيع الأسلحة ليأتى دور من سيجربها .. وحينها سيختل التوازن النووى ..

وشرد ببصره والابتسامة تتسع على شفتيه :

ـ وحينها ستبدأ الحرب العالمية الثالثة .. والأخيرة ..

عند هذه المرحلة لم يحتمل الرئيس الفرنسى ، فأخذ يطلق صرخات كتمتها الكمامة التى تغطى فمه ، لكن (باتريك) أشار له ، قائلاً :

ـ سأترككم الآن أيها السادة .. لكنى أعدكم .. بعد اليوم لن يصبح العالم كما عرفتموه .. فاليوم أيها السادة .. سنعيد كتابة التاريخ ..

* * *

أمّا أنا فكنت قد وصلت إلى حقيقة واضحة لا جدال فيها .. الهرب من هنا مستحيل تمامًا !

إننا فى أكثر وحدة مؤمنة فى مبنى وزارة الدفاع الفرنسى ، وخروجنا من هنا يستلزم جيشًا كاملاً ، لن ينجح إلا فى دفعهم إلى قتلنا بدلاً من السماح بهروبنا ، والأسوأ من هذا كله أنهم ..

ـ قادمون ..

قلتها والدماء تسيل من أنفى ، ليسأل (أنطون) فى انبهار :

ـ كيف عرفت ؟

فلم أجبه .. قدراتى ليست مزية أتباهى بها ، بل هى لعنة أدفع ثمنها حتى الآن ..

أمّا السيد (أنور) فسأل :

ـ ما الذى تظنه سيحدث ؟

فأجابه (أنطون) :

ـ سيدعون فى استجوابنا ، وحينها سأثبت لهم خيانة المدير وسنعود لمواصلة القتال ، لكن المشكلة الحقيقية فى الوقت الذى سيستغرقه هذا كله .. لو كنت مكان المنظمة ، لاستغللت هذا كله خير استغلال ..

ـ هذا ما يخيفنى حقًا .. فهم يتحركون بسرعة لم أر لها مثيلاً من قبل ..

فى هذه اللحظة فتح باب زنزانتنا ليظهر الجنرال المقيت الذى ألقى القبض علينا ومعه ثلاثة جنود سددوا أسلحتهم فى وجوهنا بتحفز لا داعى له ، ليقول الجنرال :

ـ حان وقتكم ..

فلم أتمالك نفسى من الرد بسخرية :

ـ ألن نستحم أولاً ؟

أمّا (أنطون) فقال :

ـ أريد مندوبًا من المخابرات ليحضر الاستجواب و ...

لكن الجنرال المقيت تجاهله تمامًا ، وقال :

ـ قيدوهم جيدًا ..

فانقض علينا الجنود بأغلال حديدية ، قيدوا بها أيدينا خلف ظهورنا ، قبل أن يجرونا وراء الجنرال المقيت عبر أروقة المكان ، وقد بدا على السيد (أنور) التوتر الشديد ، حتى انتهى بنا المقام فى ساحة خلفية وقفنا فيها صفًا ، ليلتفت لنا الجنرال ، قائلاً :

ـ كل ما حدث لفرنسا كان بسببكم ..

فقال السيد (أنور) :

ـ بل كنا نحارب المنظمة طيلة الوقت ، لا من أجلكم فحسب ، بل لأجل العالم كله ..

ـ كذب .. لن تخدعنى يا رجـل المخابرات المصرية .. أنا أعرف كل شىء عنـك وعـن جاسوستكم (بريدجيت) التى لقت جزاءهـا على يد المنظمة التى عملتم لحسابها ..

بدت الصدمة علىّ وعلى السيد (أنور) الذى ردد :

ـ لقت جزاءها ؟!

ـ نعم .. والآن يأتى دوركم أنتم ..

فصاح (أنطون) بغضب :

ـ لن أنطق بحرف حتى يأتى مندوب المخابرات و ..

قاطعته ضحكة الجنرال الساخرة ، بينما نظرت له أنا بحنق .. ألم يفهم هذا الأحمق بعد ما نحن فيه ؟

وقال الجنرال فى النهاية بابتسامة مقيتة :

ـ إلا فى حـالات الطـوارئ القصـوى .. فـى المعتـاد كنّا سنستجوبكم ونحاكمكم وكان هذا سيستغرق منّا شـهورًا أو أسابيع وفقًا لطبيعة الموقـف ، لكننـا اليوم فـى حالـة طوارئ قصـوى ، وفى هذه الحالة لا اسـتجوابات ولا محاكمـات ، بـل أحكـام فورية تنفذ بلا نقاش ..

ثم أشار للجنود ليوقفونا صفًا ، وليسـددوا لنـا أسلحتهم ، قبل أن يردف :

ـ لقد صدر الحكم بإعدامكم الآن ، ولى الشرف أن أكون من ينفذه ..

فقال السيد (أنور) بانفعال :

ـ هذا ليس من حقك ..

لكن الجنرال المقيت رفع يده فـى الهـواء ليأخذ الجنـود وضـع الاستعداد ، وليقول هو :

ـ وداعًا أيها الخونة ..

وعلى الرغم منى أغلقت عينى بقوة ..

وانتظرت حكم الإعدام ..

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير

(الورقة الأخيرة)

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!



د. تامر إبراهيم

عصر الفزع

مرحبًا إيها السادة ..
لدينا سيل من الكوارث التى تحمل بصمة المنظمة وعشرات الضحايا الذين يتساقطون بلا انقطاع، وكمٌ لا بأس به من المفآجات ومطاردات وانفجارات وخونة، ولدينا مستر (هايد) .. من هو ؟!
الأفضل أن تقرأ لتعرف ..



الثمن فى مصر 300
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

